

نجاة الهالكين

في حصر العلل الأربع في محمد وآله الطاهرين
سلام الله عليهم أجمعين

تأليف

العلامة الكبير والفهامة الخبير العالم النحرير

الشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين

طبع بأمر وإشراف

الحكيم الإلهي والفقيه الرباني المولى المجاهد

الحاج ميرزا عبدالله الحائري الإحقاقي

دام ظله العالي

مكتبة العذراء

الكويت - بنيد القار - ت: ٢٥١٨١٧٠

نجاة الهالكين

في حصر العلل الأربع في محمد وآله الطاهرين
سلام الله عليهم أجمعين

تأليف
العلامة الكبير والفهامة الخبير العالم النحرير
الشيخ محمد بن حسين آل أبي خمسين

طبع بأمر وإشراف
الحكيم الإلهي والفقيه الرباني المولى المجاهد
الحاج ميرزا عبدالله الحائري الإحقاقي
دام ظله العالي

مكتبة العذراء
الكويت - بنيد القار - ت: ٢٥١٨١٧٠

الطبعة الثانية المحققة
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



نجاة الهالكين
في حصر العلل الأربع في محمد وآله الطاهرين
سلام الله عليهم أجمعين

ترجمة بعض أحوال المؤلف

باسمه تعالى وهو الموفق

هو العالم الكامل الفاضل الباذل، العلامة النحرير، والمجتهد الكبير العالم بلا مين،المبرء من كل عيب وشين الشيخ محمد بن الشيخ حسين الشهير كنية بأبي خمسين قدس الله نفسه الزكية.

ولد في الإحساء سنة ١٢١٠هجرية على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والسلام والثناء والتحية، وكان من صغر سنه مولعا بتحصيل العلوم حتى أصبح واحدا من مجتهدي الإحساء البارزين، إلا أنه قدس سره الشريف إلى أن بلغ مرحلة الاجتهاد لم يكن له دراية في علم الحكمة الإلهية ولكنه ﷺ لما كان يجتمع ببعض الناس للحديث وكان يأتي اسم السيد الأجل فخر الأفاخم والأعاظم مولانا السيد كاظم الحسيني الحائري الرشتي ﷺ كان يفرح كثيرا.

ولأذكر لك هنا كيف التقى بجناب السيد السند والذخر المعتمد السيد كاظم الرشتى تلميذ شيخنا الأوحد أحمد بن زين الدين الإحسائي قدس الله نفسهما الزكية كما ذكره بنفسه في مقدمة كتابه مفاتيح الأنوار فقد قال ﷺ (إني صرفت جوهرة عمري في تحصيل بعض العلوم والآداب لا سيما الآليات حيث كنت منكبا بالنظر إليها وتفتيش كتبها والكلام فيها وعليها لأن همي في تحصيل كمالات صورية ومحاسن ظاهرية من غير أنس مني أن تلك هي الغاية القصوى والمقام الأعلى، وأن ليس وراء هذه الغاية غاية ولا وراء عبادان قرية، وبقيت على هذا الحال شطرا من الزمان ومدة من الدهر

الخوان، ولكن في أثناء هذه المدة اتفق في بعض الأحيان في بعض المجالس ذكر قطب الهداية وعلم الدراية ومبين محكم الآية والرواية، الذي أنواره مقتبسة من فاضل فلك الولاية، النور اللامع من ضياء الحقيقة المحمدية، والبدر الطالع في سماء الإمامة العلوية، والدرة المنيرة الخارجة من الصدفة الفاطمية، والثمرة الجنية الناتجة من الدوحة الحسنية الحسينية، السيد السند والكهف المعتمد عمدة الأفاضل وزبدة الأعاظم جناب الحاج السيد كاظم أطال الله بقاه وجعلنا من كل مكروه فداه من بعض الإخوان ينشرح صدري ويطيب عيشي ويعتريني سرور بحيث أني أسهى عن نفسي ولم أبرح أتمنى رؤيته ولو مرة واحدة في العمر، ولم يزل قلبي يحترق في تلك الأوقات بنار الهيام وفؤادي يتلظى بسعير الغرام، تغرقني العبرة وتحرقني الزفرة، وعيني ساهرة من عدم حصول المرام، وكلما استأذنت فخري وعزي وسندي ومعتمدي وشيخي والدي العزيز في السفر إلى تلك المشاهد المشرفة والأماكن المقدسة والبقاع الطيبة الطاهرة لعلي أحضى بمطالعته ورؤيته وأسعد بمجالسته وصحبته بعد زيارة أجداده الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ما يعبد الحق باليقين، أمهلني وريضني إلى أن خطر ببالي القاصر وذهني الفاتر وقتا من الأوقات وساعة من الساعات أني أتشرف بخدمة بعض الإخوان العزاز لدي وأستعين بهم عليه لعله يأذن لي، ففعلت ذلك مرارا متعددة حتى أذن لي ولكن اشترط علي سلمه الله وأبقاه بمحمد صلى الله عليه وآله وعلي مولاه حضور درس ذلك الطيب الطاهر فقط، وعدم الاعتناء بغيره فحمدت الله على ذلك وعزمت من حينى على السفر، فلما وفقني الله تعالى لتقبيل العتبة العلية والسدة السنية الحسينية عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف التحفة والتحية، وتشرفت بذلك الوادي المقدس المطهر

من الرجس المحسود للفلك الأطلس، سألت عن ذلك الجناب فقيل لي أنه في الكاظميين، وبقيت أياما قلائل فإذا هو قد تشرف لزيارة سيد الشهداء فخرجت مع من خرج لتلقيه، فلما رأيته وسلمت عليه وأمعنت النظر في ذلك فى الجمال طاب لي الحال وزال عني البلبال والثوال، وازددت فيه شوقا على شوق وودا على ود، حتى نسيت الأهل والعيال والوطن والمال، ولما استقر به المكان بعد يويمات، مضيت إلى خدمة ذلك العالم الكامل الفاضل ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر ووحيد الدهر، موضح الحقيقة والطريقة ومحي الشريعة على الحقيقة، وماحي قواعد الحكماء الصوفية، ومظهر آثار العلوم العلوية، سيد الأمة ونسل الأئمة، عز المؤمنين وملاذ العلماء العارفين وركن الإسلام والمسلمين وخاتم المجتهدين، العالم الرباني الحكيم الصمداني والعارف السبحاني والفرد الذي ليس له ثاني، والفاضل الإلهي العلم الأمجد والفرد الأوحد، أعلم العلماء وقدوة الفقهاء، والمضيع لمبتدعات الإشراقيين والمخرب لقواعد المشائيين، والمبطل لمخترعات الصوفيين الملحدين، والمصحح لقواعد العلماء الإلهيين، والناصر لمذهب أجداده الطاهرين سلام الله عليهم أبد الآبدين ودهر الداهرين، أفقه الفقهاء والمجتهدين زبدة المؤمنين الممتحنين عماد الملة والدين، سيد السادة وسند السيادة المولى الأعظم والسناد المعظم، صفوة الأفاضل العارف بحقائق المعاني، الواصل فيضه للقاصي والداني، قدوة المدققين وفخر المحققين، عمدة الفضلاء وأزكى الأزكياء، ملجأ الطلاب وملاذ الأصحاب، رأيته جالسا في صدر ناديه والطلاب جاثية بين أياديه، والناس مجتمعون عليه وهو يباحث في كتابه المسمى باللوامع الحسينية عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف الثناء والتحية، فرأيته

بحراً مواجاً وسراجا وهاجا ونجماً زاهرا وشمساً منيرة، وبحراً يتقاذف موجه بالدرر وعقدا في جيد الدهر يتلألأ بالغرر، فيملأ أصداف الأسماع درا فاخرا، ويبهر الأبصار والبصائر محاسنا، ومفاخر فرائد فوائده تخجل جواهر العقود، وجواهر فوائده يزري عقائد النقود، يتشعشع من جبهته النور ويتناثر من وجنته السرور، دلاء العلوم يقذف درر المعارف غواربه، وقمر الفضل أشرق بضياء عوارفه، مشارقه ومغاربه كالبحر يقذف للقريب جواهرا جودا، ويبعث للبعيد سحائب المود، وعلم علم لا تباهيه الأعلام، وحفه فضل لا يفصح عن وصفه الكلام، أرجت أنفاس فوائده أرجاء الأقطار، وأحيت كل أرض نزل بها فكأنها لبقاع الأرض أمطار، شاد مدارس العلوم بعد دروسها، وسقى بصيب فضله حدائق غروسها، وأنعش جذورها من عثارها، وأخذ من خراب الجهل بثارها، وفوائده في سماء الإفادة أقمار ونجوم وشهب لشياطين الإنس والجن رجوم، إن نطق صفد المعاني عن أمم، وأسمعت كلماته من به صمم، وإن كتب كبت الحساد عن كثب، فجاء بما شاء على الاقتراح، وترك أكباد أعدائه دامية الجراح، وكنت قبل ذلك أسمع بعض المادح من بعض الإخوان لذلك الجناب، ولكن بعدما تشرفت بخدمته ولازمت صحبته عرفت وتيقنت بأنهم ما عرفوا من مناقبه وفضائله معشار العشر لا هم ولا غيرهم، وأنه غريب بين أظهرهم ما قدروه حق قدره، وأنه بينهم كالمسجون، لأنه محشورمع غير أبناء جنسه، وأن كل من وصفه إنما وصفه بماظهرله به كما قال سيد الموحدين **(إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)**[1] ولذا تراهم مختلفين فيه ومتفاوتين في معرفته، وقمت أتشرف كل يوم بحضرة

---

(1) بحار الأنوار ٤ / ٢٥٤.

قدسه وأفوز بقدس أنسه وأستأنس بمجلسه الشريف في وقت مباحثته، لكن كما قال الشاعر:

كم يطرب القمري أسماعنا ونـحـن مانفهم ألحـانـه

فبقيت على هذه الحال مدة أيام وليال، متبلبل الأحوال ومتغير الحال، سائلا من ذي الجلال في الأيام والليال إلى أن خطر ببالي في بعض الأيام أني أتشرف بخدمة العالم العامل والفاضل الكامل ذي المناقب والمفاخر وذي المزايا والمآثر العارف الأجل، والعالم البدل والجامع بين العلم والعمل، كهف ذوي الألباب والولد الحقيقي لذلك الجناب، الملا أبي تراب وأعرض بخدمة جنابه الشريف، أزاده الله علوا وتشريف، من طرف المباحثة معه في كل يوم ساعة في شرح الفوائد، ففعلت ذلك فأجاب دعائي سلمه الله تعالى من كل شر بحق محمد وآله سادات البشر، وقمت أحضر كل يوم ساعة من النهار في مجلسه الشريف ومحضره اللطيف بعد الظهر مدة مديدة وأشهر عديدة، إلى أن اقتضى جور الزمان وعوائق الدهر الخوان المفارقة بيننا بسبب سفره إلى أطراف العجم) انتهى كلامه الشريف.

وبعد أن درس وتعلم هذه العلوم والمعارف من الحكمة الإلهية ومعارف آل بيت العصمة سلام الله عليهم أجمعين، أصبح من الناشرين لهذه الحكمة وهذه العلوم، وصار من المدافعين عن شيخنا المظلوم والسيد المهضوم رضوان الله عليهما وعلى الخصوص في الإحساء، فقد عاد اليها ناشرا لتلك العلوم.

حتى كان ظهر اليوم الخامس من شهر ذي القعدة الحرام فألم به مرض شديد توفي بسببه قبيل المغرب من ذلك اليوم، وشيع جثمانه بأعظم تشييع في اليوم الثاني، وكان ذلك في سنة ألف ومائة وستة عشر للهجرة النبوية على مهاجرها وآله الاف الصلاة والتحية.

ودفن في الإحساء وقبره معروف هناك ومقصد للزائرين، وقد تناقل

أهل الإحساء هذه الكلمة عن مولانا المقدس المعظم مفتاح أسرار علوم شيخنا الأوحد الميرزا علي الحائري قدس سره الشريف، أنه قال من كان عنده حاجة وأراد من الله قضاءها فليصل الفجر من يوم الجمعة ثم يقصد إلى قبر الشيخ الجليل محمدآل أبي خمسين عليه الرحمة وليقرأ لروحه الفاتحة، فإن لم تقض هذه الحاجة فهذا دين برقبتي وقد جربت ذلك مرارا وقضيت حاجتي بحمدالله تعالى.

وقد ترك هذا الشيخ الجليل مؤلفات عديدة منها:

١- نجاة الهالكين في حصر العلل الأربع في محمد وآله الطاهرين (وهو كتاب حكمي) وهو الذي بين يدي القارىء الكريم.

٢- مفاتيح الأنوار ومصابيح الأسرار (وهو كتاب حكمي).

٣- مختصر منار العباد (فقهي).

٤- التبصرة (فقهي).

٥- مقرح القلوب ومهيج الدمع المسكوب (في ذكر مصائب سيد الشهداء عليه السلام

٦- منار العباد في شرح الإرشاد.

بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل وأجوبة المسائل.

فرحم الله السابقين من علمائنا الأعلام وأيد الله الباقين منهم وأعلا الله كلمتهم، والسلام عليهم جميعا ورحمة الله وبركاته.

أبو المكارم
حسين علي المطوع

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه ومظهر لطفه محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم ومخالفيهم وجاحدي فضائلهم أجمعين من الأولين والآخرين عدد ما في ملك رب العالمين.

أما بعد فيقول العبد الضعيف الذليل الفقير المسكين المستكين محمد بن حسين بن علي بن محمد بن أحمد: المتمسكين بحبل الله المتين على اليقين. إني لما رأيت كثر التعصب والعناد من أهل الإلحاد والفساد وإجحادهم فضائل أركان البلاد، وإنكارهم مناقب سفراء الله في العباد، وتمويههم الحق على العوام الذين هم كالأنعام، لأنهم يتبعون كل من نهق من أولاد الحرام، رجاء لتحصيل شيء من الحطام، ويعرضون عن كل ما ينجيهم من الكلام، والدخول عليهم على سبيل النصيحة والوداد، والقول لهم إنما قصدنا نجاتكم وإدلالكم على الرشاد وإيصالكم إلى السداد، وإن مقدار ما نحن عليه من معرفة محمد وآله الأمجاد عليهم السلام هو المراد من رب العباد، وأعلى مما نحن عليه من معرفتهم عليهم السلام موجب للفساد، ولا سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، بل الذي سمعنا ونقل إلينا عن مشائخنا الكرام وعلمائنا العظام إن أدنى مراتب الغلو نفي السهو عن المعصوم عليه السلام لكونه بشراً مثلنا ورجلا من أنفسنا يأكل مما نأكل منه ويشرب مما نشرب منه ويمشي في الأسواق كما نمشي، فكيف مع ذلك يتصور في حقه عدم السهو فمن

تصور في حقه ذلك فإنه من الغالين الخاسرين لأنّا كما نسهو فكذلك المعصوم عليه السلام لمشاركته لنا في البشرية والسهو والنسيان، وعدم العلم بما يؤول أمره إليه، وغير ذلك من لوازمها وإليه الإشارة بقوله تعالى
وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ[1] الآية.

كما نقل ذلك عن القميين وغيرهم فإذن التجنب عن الطريق المخوف أحرى، والاحتياط في الدين لا يخفى، ومن قبيل هذه التمويهات الشيطانية كثيرة جداً لكن اكتفينا بذكر طائفة منها حذراً من التطويل وخوفاً من القال والقيل، وإنما قصدنا التنبيه على كيفية دخولهم على العوام وإغوائهم إياهم من باب النصحية قاتلهم الله أنى يؤفكون، أوجبت على نفسي نصرة الحق وإعزازه، ورفع أعلام منهاجه، ودحض الباطل وإذلاله، وإبرام النقص على مذهب من خالف الحق ،لأن نصرته علي فرض لقوله تعالى﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ)** [2].

ولقول سيدنا وحبيبنا ونور بصائرناومولانا ونبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)** [3] الحديث. نقلته بالمعنى أو بما يقرب من اللفظ.

ولعمري لقد ظهرت الباع وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتلوا آخرها أولها، وتراكمت الظلمات حتى إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها، خصوصاً في زماننا الذي قد مد الجور باعه وأسفر الظلم قناعه ودعى الغي أتباعه،

---

(١) سورة الأعراف ١٨٨.

(٢) سورة البقرة ١٥٩.

(٣) وجدنا في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الصادقين عليهم السلام إنهم قالوا (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان).

فلبوه من كل جانب ومكان وتلقوه بالقبول في العيان باللسان والجنان، لقلة حزب الرحمن المذلولين في مدة غيبة ولي المنان وشريك القرآن وصفوة من دخل الإمكان، وكثرة حزب الشيطان وإخوان عبدة الأوثان وخصماء الملك الحنان، المتمسكين بالمتشابه من السنة والقرآن، لأجل إطفاء نور سادات الزمان، ومحو آثار سادات الجنان عليهم سلام الملك الديان ما دام موقع الصفات العنوان، وإلى الله المشتكى وإليه المستعان.

وها أنا أذكر لك يا أخي هنا بعضاً من كلماتهم الجيدة في مصنفاتهم المشهورة، ومن اعتقاداتهم العالية في تبياناتهم المبسوطة، لنهاية محبة محمد وآله، وغاية معرفتهم سلام الله عليهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين، وأتكلم عليها إنشاء الله تعالى، لئلا يقال إن الذي ذكرته سابقاً على سبيل الإجمال، وإنما هو مجرد دعوى واضلال، ولا تلمني أيها الناظر في كلامي إذا عثرت على بعض العبارات، فإن في قلبي لهبات نارية مشتعلة من بعض المتلبسين بالعلم المتخلين من الورع من أهل هذه الأكوار والأدوار، فإنك ما اطلعت على ما اطعلت عليه من حالهم، ولو اطلعت على عشيرة لنصرتني كما قال بعض العارفين ونعم ما قال:

ولو يـذوق عـاذلي صبابتي   صبا معي لكنه ما ذاقها

قال رجل مدع أنه من رؤساء المحبين المخلصين بعد ما ذكر بعض فضائل مولانا أمير المؤمنين عليه سلام الله مدى الأعوام والسنين، اعلم أن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من أن تحصى كما في بعض الأخبار، ولكن المكلف لا بد أن يحبه على وجه بأن يعتقده عبداً من عباد الله ومرؤساً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورئيساً لسائر خلق الله على سبيل التوسط بين الإفراط والتفريط، بأن يكون والياً لا غالياً ولا قالياً وأزيد من هذا الأصل عدمه والأحوط تركه، انتهى.

فانظر في طي كلماته بعين الدقة يا أخي لئلا يصعب عليك ردي، ولعمري إني متحير بما جيبه وبأي طور أكلمه، لكن أتنزل معه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام **(إذا خاطبتم الصبيان فتصابوا)**.

وأقول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: هذا يا أخي من جملة تمويهاتهم الأمر على العوام، ومزجهم الحق بالباطل ليتمكنوا شيئاً فشيئاً من إظهار باطلهم، وإعلان خبث طينتهم وسريرتهم، وليضلوا الأنام ويضيعوا الشيعة الأيتام عن سبيل معرفة سيدهم الإمام، حتى تزداد أولاد الحرام ونسل الطغام، ليستعينوا بهم على إظهار مطلوبهم والمرام، وهو حط رتبة سادات النظام وأمناء الملك العلام عليهم سلام تام من باريء الأنام، أما ترى مقاله فإن ما قاله في أوائله حق لا شك فيه ولا ريب يعتريه بالنسبة إلى ظواهر الكلمات، أما مع دقة النظر وإعطاء الفكر حقه يتبين أنها محض تمويه وأما ما قاله في أواخره فباطل مجتث زايل لأنه افتراء محض على الله ورسوله وكذب صرف، وهو قوله (وأزيد من هذا الأصل عدمه والأحوط تركه)، وحال المفتري على الله ورسوله غير خفي على من له أدنى مسكة، لأن القرآن مشحون في بيان حاله مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَ كَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾[(١)] ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾[(٢)] إلى غير ذلك من الآيات.

فإن قيل: كلامه هذا حق في مقام ولا ريب في صحته كما تقر به، وإذا كان كذلك لم عذلت عليه وقلت فيه ما قلت، لأن هذا مبلغه من العلم ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

---

(١) سورة الزمر آية ٣٩.

(٢) سورة هود آية ١٨.

قلنا: ما يلزم من كون بعض مقاله حق بالنسبة إلى ظواهره في مقام أن يكون غيره باطل في مقام أعلى، فمن أين أتت الملازمة ومن أين توجهت، فما لهم كيف يحكمون، وفي آيات الله يلحدون، وعن غيهم لا يرتدعون، وإنما قلت ما قلت من جهة حصره الأمر بما ذكر، ولو لم يحصره كان كلامك متوجهاً لكن لما حصر معرفته عليه السلام وحكم بخلاف قوله تعالى

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾(١) **﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾**(٢) والمراد منه بحر الإمكان، حكمت عليه وقلت ما قلت صادعاً بالحق المبين، وإجماع الفرقة قائم بأنه عليه السلام هو النعمة العظمى والكلمة العليا وآيته الكبرى.

قال **(ما لله نبأ أعظم مني، وما لله آية أكبر مني)**(٣) وفي الزيارة **(نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار)**(٤) فإذا كان كذلك كان مستحقاً بما زبر.

وبالجملة فهذا المقدار الذي ذكره في أول كلامه من الاعتقاد حق وينجي معتقده من النار ولكن بشرط أن يعتقد أنه ما عرفهم عليهم السلام بحقيقة ما هم عليه، وأن لا يحصر نهاية محبتهم عليهم السلام بهذا المقدار، وأن يعتقد أن معرفتهم عليهم السلام بما هم عليه في حق الغير ما يمكن لامتناعها بالنسبة إلى من سواهم، لكونهم أول الوجود وسر المعبود، فكل ما سواهم مخلوق إما من شعاعهم أو من شعاع شعاعهم أو من عكوسات أظلالهم أو أظلال أظلالهم، وأنت خبير بأن معرفة المنير على ما هو عليه في حق الأشعة ممتنعة لعدم وجودها عنده والأدوات تحد أنفسها والآلات تشير إلى نظائرها كما هو صريح قول

---

(١) سورة إبراهيم آية ١٤.

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٤٢٦.

(٤) البحار ج٩٧ص ٣٠٥.

باب مدينة العلم، ولقد أجاد بعض الأمجاد نظماً في بيان هذا المراد ونعم ما أفاد إذ فيه أنس للفؤاد حيث قال:

حارت ذوو الألباب فيك فأصبحوا مثل النشاوى من مدام سواق

راموا صفاتك وانثنوا من ألسن ولكن كأن قد أوثقت بوثاق

لا غرو إن عجزوا فإنك علة لهم وذا تكليف غير مطاق

أو ما طرقت سمعه الآيات المحكمة والروايات الكثيرة والزيارات المستفيضة الواردة عن طريق معرفتهم عليهم السلام بالنورانية، أم طرقت لكن ما سمعها كما قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[1] وهي أكثر من أن تحصى، ولكن أذكر لك هنا بعضاً منها ليتبين عندك بطلان ما أسسه، منها قوله عليه السلام **(ظاهري ولاية ووصاية وباطني غيب ما يدرك)**[2].

ومنها قوله عليه السلام لأبي ذر وسلمان: **(من كان ظاهره أكثر من باطنه في ولايتي خفت موازينه)**.

وقوله عليه السلام **يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين قال: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية، فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً مستبصراً، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب.**

يا سلمان ويا جندب قالا لبيك يا أمير المؤمنين قال معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص الذي قال تعالى ﴿وَ ما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٢) اللمعة البيضاء ٦٤.

حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾.

يقول: ما أمروا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدين الحنيفية المحمدية السمحة، وقوله ويقيموا الصلاة فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة، وإقامة ولايتي صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فالملك إذا لم يكن مقربا لم يحتمله، والنبي إذا لم يكن مرسلاً لم يحتمله، والمؤمن إذا لم يكن ممتحناً لم يحتمله.

قلت: يا أمير المؤمنين، من المؤمن وما نهايته وما حده حتى أعرفه.

قال عليه السلام: يا أبا عبدالله، قلت: لبيك يا أخا رسول الله، قال: المؤمن الممتحن هو الذي لا يرد من أمرنا إليه شيء إلا شرح صدره لقبوله ولم يشك ولم يرتب.

إلى أن قال عليه السلام : يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من الناربإذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي، وأنا عذاب يوم الظلة وأنا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان الجن والإنس وفهمه قوم، وإني لأسمع كل قوم الجبارين والمنافقين بلغاتهم، وأنا الخضر عالم موسى ومعلم سليمان، وأنا ذو القرنين، وأنا قدرة الله عز وجل.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا محمد ومحمد أنا، وأنا من محمد ومحمد مني قال تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين قال إن ميتنا لم يمت وغائبنا لم يغب وإن قتلانا لم يقتلوا.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي، وأيدت بروح العظمة، وأنا تكلمت على لسان عيسى بن مريم في المهد وأنا آدم وأنا نوح وأنا ابراهيم وأنا موسى وأنا عيسى وأنا محمد أتقلب في الصور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك في الناس وقالوا هو لا يزول ولا يتغير وإنما أنا عبد من عبيد الله عز وجل لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر لأنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفاؤه وأمناء الله وأئمته ووجه الله وعين الله، بنا يعذب الله عباده وبنا يثيب، ومن خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا، ولو قال قائل لم وكيف وفيم لكفر وأشرك، لأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: من آمن بما قلت وصدق بما بينت وفسرت وشرحت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عارف مستبصر قد انتهى وبلغ وكمل، ومن شك وعاند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مقصر وناصب.

يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: أنا أحيي وأميت بإذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا، لأنا كلنا واحد أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد ﷺ فلا تفرقوا بيننا، فإنا نظهر في كل زمان ووقت وأوان في أي صورة شئنا بإذن الله عز وجل، ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله، الويل كل الويل لمن أنكر من فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيئته فينا)[1].

---

(١) بحار الأنوار ٢٦ / ٢ - ٦.

فانظروا يا أهل الدراية في هذه الكلمات الشريفة الصادرة عن صاحب الولاية الذي هو محل نظر العناية بعين البصيرة والهداية لا بعين الاستعظام والاستكبار والغواية، فإنه يظهر لكم أن معرفة من هو في عالم اللانهاية ليس لها نهاية، كما هو صريح منطوق ما سيأتي من الرواية، ومنها حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام وفيه: **(عليك بالبيان والمعاني، قال: قلت ما البيان والمعاني؟ فقال عليه السلام: أما البيان أن تعرف أن الله ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه، وإذا شئنا شاء الله ويريد ما نريده)**. الحديث.

ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته يوم الغدير كما رواه الشيخ في مصباحه :**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، انتجبه آمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)**[1] الخطبة.

ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت ولا عرفني إلا الله وأنت ولا عرفك إلا الله وأنا)**[2].

فحصر صلى الله عليه وآله وسلم معرفة الله به وبابن عمه عليه السلام ومعرفته بالله وبابن عمه عليه السلام ومعرفة ابن عمه بالله عز وجل وبه صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال عليه السلام: **(ينحدر مني السيل ولا يرقى إلي الطير)**.[3] يعني سيل الفيوضات والعلوم والمعارف تنحدر مني دائما وأفيض بقدرة الله على من تحت رتبتي، وطير الأوهام وهي المشاعر الباطنية ما يرقى ولا يصل إلي ويخسأه عني الطرف وهو كليل،

---

(١) مصباح الكفعمي ج ٢ ص ٥٠٨.
(٢)مدينة المعاجز ٢/ ٤٣٩.
(٣) نهج البلاغة ص ٣٠.

لأني البئر المعطلة والقصر المشيد المذكوران في القرآن المجيد، ولقد أجاد بعض العارفين حيث أفاد:

مولى تعالى مقاما لا يحيط به — وصف وجل عن الأشباه والمثل
لا يدرك الفكر من كلي مدحته — جزء ويرجع عنه العقل في عقل

ومنها ما ورد في الكافي وغيره: **(نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا)**.

وفي المستفيض عنهم عليهم السلام **(نزهونا عن الربوبية وعن الحضوض البشرية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا فما ظهر لكم من علمنا إلا ألف غير معطوفة)**.

وفي حديث أبي بصير وغيره أن لهم علماً خاصاً لم يكلف به غيرهم وعلم أظهروا بعضه، ومنه قول الصادق عليه السلام **(لنا مع ربنا حالات نحن فيها هو وهو فيها نحن لكنه هو هو ونحن نحن)**[1].

ومنها قول الإمام الهادي عليه السلام: **(موالي لا أحصي ثنائكم ولا أبلغ من المدح كنهكم ومن الوصف قدركم)**[2].

ومنها التوقيع الوارد عن الناحية القدسية عن سفير الله في خلقه **(نحن صنايع الله والخلق بعد صنايع لنا)**[3].

وإن قيل يعني لأجلهم ولمصالحهم، قلنا هذا التوجه حق أيضاً، وهنا رواية أخرى من دون لام وهو قوله عليه السلام **(نحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا)**[4].

---

(١) مكيال المكارم ٢ / ٢٩٥ (لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو وهو هو ونحن نحن).
(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.
(٢) (في مستدرك سفينة البحار ٦ / ٣٧٩ وحقائق التأويل ٧٣ والاحتجاج ١ / ٢٦٠ وشرح أصول الكافي ١٢ / ٢٢٩ وتحف العقول ٧: نحن معدن العلم والحكمة أمان لأهل الأرض ونجاة لمن طلب فإنا صنايع ربنا والناس بعد صنايع لنا إنا لأمراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه، نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وينابيع الحكم).
(٣) في الاحتجاج ٢ / ٤٦٦ عن الشيخ الموثوق أبي عمرو العمري ره قال تشاجر ابن أبي غانم القزويني و جماعة من الشيعة في الخلف

ومنها ما رواه المجلسي في تحفة الزائر:

بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يبين الله الكذب وبكم يباعد الله الزمان الكلب وبكم يدرك ترة كل مؤمن وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأشجار أثمارها من أراد الله بدء بكم إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادر عما فصل من أحكام العباد[(١)] .

تأمل أيها المنصف في هذا الكلام الذي كله نور وحقيق بأن يكتب بماء الذهب على وجنات الحور، فإنه عليه السلام لم يترك لمحتج حجة بإظهار الدرر من تلك اللجة، ولست الآن في صدد بيان معاني هذه الكلمات النورانية وتفسير هذه الألفاظ الفرقانية، لأن ذلك يحتاج إلى ذكر مقدمات تقتضي البسط والإطناب، ومقتضى ما أنا عليه الآن الاختصار والإيجاز، لأن ليس كلما يعلم يقال ولا كلما يقال حان وقته ولا كلما حان وقته حضر أهله

فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد ع مضى و لا خلف له ثم إنهم كتبوا في ذلك كتابا و أنفذوه إلى الناحية و أعلموه بما تشاجروا فيه فورد جواب كتابهم بخطه صلى الله عليه و على آبائه بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله و إياكم من الفتن و وهب لنا و لكم روح اليقين و أجارنا و إياكم من سوء المنقلب إنه أنهي إلي ارتياب جماعة منكم في الدين و ما دخلهم من الشك و الحيرة في ولاة أمرهم فغمنا ذلك لكم لا لنا و ساءنا فيكم لا فينا لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره و الحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا و نحن صنائع ربنا و الخلق بعد صنائعنا يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون و في الحيرة تنعكسون أ و ما سمعتم الله يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ أ و ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون و يحدث في أئمتكم على الماضين و الباقين منهم السلام أ و ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها و أعلاما تهتدون بها من لدن آدم ع إلى أن ظهر الماضي ع كلما غاب علم بدا علم و إذا أفل نجم طلع نجم فلما قبضه الله إليه ظننتم أن الله أبطل دينه و قطع السبب بينه و بين خلقه كلا ما كان ذلك و لا يكون حتى تقوم الساعة و يظهر أمر الله و هم كارهون و إن الماضي ع مضى سعيدا فقيدا على منهاج آبائه ع حذو النعل بالنعل و فينا وصيته و علمه و منه خلفه و من يسد مسده و لا ينازعنا موضعه إلا ظالم آثم و لا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد و لو لا أن أمر الله لا يغلب و سره لا يظهر و لا يعلن لظهر لكم من حقنا ما تبتز منه عقولكم و يزيل شكوككم و لكنه ما شاء الله كان و لكل أجل كتاب فاتقوا الله و سلموا لنا و ردوا الأمر إلينا فعلينا الإصدار كما كان منا الإيراد و لا تحاولوا كشف ما غطي عنكم و لا تميلوا عن اليمين و تعدلوا إلى اليسار و اجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنة الواضحة فقد نصحت لكم و الله شاهد علي و عليكم و لو لا ما عندنا من محبة صاحبكم و رحمتكم و الإشفاق عليكم لكنا عن مخاطبتكم في شغل مما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال المتتابع في غيه المضاد لربه المدعي ما ليس له الجاحد حق من افترض الله طاعته الظالم الغاصب و في ابنة رسول الله ص لي أسوة حسنة و سيتردى الجاهل رداء عمله و سيعلم الكافر لمن عقبى الدار عصمنا الله و إياكم من المهالك و الأسواء و الآفات و العاهات كلها برحمته إنه ولي ذلك و القادر على ما يشاء و كان لنا و لكم وليا و حافظا و السلام على جميع الأوصياء و الأولياء و المؤمنين و رحمة الله و بركاته و صلى الله على النبي محمد و آله و سلم تسليما).

(١) بحار الأنوارج ٩٨ص ١٥٣.

قال عليه السلام: **ليس كلما أوسعته عذراً أفشيته سراً وكلما أسمعته نكراً أوسعته عذراً**[1].

ولولا ذلك لأبرزت من هذه الكلمات الشريفة معان لطيفة. ومنها ما في زيارة أمير المؤمنين المعروفة بالجامعة الصغرى: **السلام على أبي الأئمة ومعدن النبوة.**

إلى أن قال عليه السلام: **السلام على شجرة التقوى وسامع السر والنجوى ومنزل المن والسلوى.**

إلى أن قال عليه السلام: **السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن وعينه التي من عرفها اطمأن، السلام على اذن الله الواعية في الأمم ويده الباسطة بالنعم وجنبه الذي من فرط فيه ندم**[2].

ومنها قول الهادي عليه السلام في زيارة آل يس: **ومن تقديره منائح العطا بكم انفاذاً محتوماً مقروناً فما شيء منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل.**

إلى أن قال عليه السلام: **فلا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة**[3].

ومنها ما روي عنه عليه السلام في خطبته المعروفة بخطبة البيان:

أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة وأنا المرسوخ في العلم وأنا وجه الله في السموات والأرض كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ وأنا الذي أحصي هذه الخلائق وإن كثروا وأنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء أنا آيات الله وحجج الله وأنا أحيي وأميت وأنا أخلق وأرزق وأنا

---

(١) في بحار الأنوار ٧١/ ٢٢٩ لا تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك لأن توسعه عذرا.

(٢) بحار الأنوارج ٩٧ / ٣٣٠.

(٣) بحار الأنوار ٩١/ ٣٦.

السميع العليم أنا الذي أجوز السموات السبع والأرضين السبع في طرفة عين وأنا الاسم الأعظم وهو كهيعص وأنا المتقلب في الصور أنا الذي ليس كمثله شيء أنا العذاب الأعظم أنا الآخرة والأولى أنا أبدىء وأعيد أنا فرع من فروع الزيتونة وقنديل من قناديل النبوة أنا مشكاة فيها نور المصطفى أنا الذي أرى أعمال العباد ولا يعزب عني شيء في الأرض ولا في السماء أنا خازن السموات والأرض أنا قائم بالقسط أنا عالم بتغيير الزمان وحدثانه أنا المؤيد بروح القدس أخلق وأرزق وأحيي وأميت بإذن ربي أنا آية الله الكبرى التي أراها فرعون فعصى، أنا الذي أعلم خطرات القلوب ولمح العيون وما تخفي الصدور ،وأنا الناقور الذي قال الله تعالى: ﴿فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾، أنا الذي أتولى حساب الخلائق أجمعين، أنا اللوح المحفوظ، أنا جنب الله، أنا قلب الله، أنا فتاح الأسباب، أنا منشىء السحاب، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا داحي الأرضين، أنا سماك السموات، أنا الذي عنده فصل الخطاب، أنا قسيم الجنة والنار، أنا ترجمان وحي الله، أنا خازن علم الله، أنا حجة الله على من في السموات ومن فوق الأرضين، أنا دابة الأرض، أنا الراجفة أنا الرادفة أنا الصيحة بالحق يوم الخروج، أنا الذي لا يكتم عنه خلق السموات والأرض، أنا الساعة التي لمن كذب بها سعيراً، أنا ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر الله أن يدعى بها، أنا النور الذي اقتبس موسى منه فهدى، أنا هادم القصور، أنا مخرج المؤمنين من القبور، أنا المتكلم بكل لغة في الدنيا، أنا الذي أقمت السموات السبع بنور ربي وقدرته، أنا الغفور الرحيم وعذابي هو العذاب

الأليم، أنا الذي بي أسلم إبراهيم الخليل لرب العالمين وأقر بفضلي، أنا عصا الكليم وبه آخذ بناصية الخلق أجمعين، أنا الذي أحصي الخلق حتى أؤديهم إلى الله وإن كثروا قال الله: ﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾ وأنا لا يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد. الخطبة.

ومنها ما روي عنه عليه السلام في خطبته المعروفة بخطبة الافتخار: **أنا الذي أعطيت علم الأنساب والأسباب، وأعطيت ألف مفتاح من العلم يفتح كل مفتاح منها ألف باب، أنا الذي أمددت بعلم القدر وإن ذلك ليجري بأمر مستقر.**

إلى أن قال عليه السلام: **أنا المحاسب للخلق وأنا منزلهم منازلهم، أنا صاحب الدعوات، أنا صاحب الصولات، أنا صاحب النقمات، أنا صاحب الدلالات، أنا صاحب الآيات العجيبات، أنا عالم أسرار البليات، أنا قرن من حديد، أنا منزل الملائكة منازلها، أنا آخذ العهد على الأرواح في الأزل بأمر قيوم لم يزل، أنا المنادي لهم بأمر قيوم لم يزل، أنا كلمة الله الناطقة في خلقه، أنا صاحب اليمين، أنا عين اليقين، وأنا السابق إلى الدين، وأنا حبل الله المتين، أنا الذي أملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.**

إلى أن قال عليه السلام: **أنا المتكلم بالوحي، أنا صاحب النجوم، أنا مدبرها بأمر ربي في علم الله الذي خصني به، أنا البيت المعمور، أنا السقف المرفوع، أنا البحر المسجور، أنا باطن الحرم، أنا عماد الأمم، أنا صاحب الأمر الأعظم.** الخطبة.

ومنها ما ورد عنه عليه السلام بطريق معتبر في خطبته المعروفة بالطتنجية:

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص ١٦٤.

أنا الأمل والمأمول وأنا الواقف على الطتنجين وأنا الناظر في المغربين والمشرقين.

إلى أن قال عليه السلام: **ولقد علمت من عجائب خلق الله ما لا يعلمه إلا الله ورسوله، وعرفت ماكان وما يكون وماكان في الذر الأول مع من تقدم مع آدم الأول، ولقد كشف لي فعرفت وعلمني ربي فتعلمت، ألا فعوا ولاتضجوا ولاترتجوا، فلولا خوفي عليكم أن تقولوا جن ابن أبي طالب وارتد لأخبرتكم بما كان وما أنتم عليه وما تلقونه إلى يوم القيامة أوعز إلي فعلمت، ولقد ستر علمه عن جميع النبيين إلا صاحب شريعتكم هذه، فعلمني علمه وعلمته علمي، ألا ونحن النذر الأولى ونحن نذر الآخرة والأولى ونذر كل زمان وأوان، وبنا هلك من هلك ونجا من نجا، فلا تستعظموا ذلك فينا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة وتفرد بالجبروت والعظمة لقد سخرت لي الهوام والطير.**

إلى أن قال عليه السلام: **فحتى متى يلحق بي اللاحق، ولقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وتحت السابعة السفلى وما في السموات العلى وما بينهما وما تحت الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار، أقسم برب العرش العظيم لو شئت لأخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كانوا وممن كانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه، فكم من آكل منكم لحم أخيه وشارب منكم برأس أبيه وهو يشتاقه ويرتجيه، هيهات إذا كشف المستور وحصل ما في الصدور وعلم وارد ما في الضمير، وأيم الله لقد كورتم كورات وكررتم كرات، وكم بين كرة وكرة من آية وآيات.**

إلى أن قال عليه السلام: **ولو كشف لكم ما كان مني في القديم الأول وما يكون مني**

في الآخر لرأيتم عجائب مستعظمات وصنايع وإحاطات، أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول، ولو علمتم ما بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها وأمم أهلكتها فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون، أنا صاحب الطوفان الأول، أنا صاحب الطوفان الثاني، أنا صاحب السيل العرم، أنا صاحب الأسرار المكنونات، أنا صاحب عاد والجنات، أنا صاحب ثمود والآيات، أنا مدمرها أنا مزلزلها أنا مرجفها أنا مهلكها، أنا مدبرها أنا بانيها أنا داحيها أنا مميتها أنا محييها، أنا الأول أنا الآخر أنا الباطن أنا الظاهر، أنا مع الكور قبل الكور أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية، أنا صاحب جابلقا وجابلصا، أنا صاحب الزخرف وإبراهيم، أنا مدبر العالم الأول حين لا سمائكم هذه ولا أرضكم، قال: فقام إليه ابن صويرمة فقال: أنت أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أنا أنا لا إله إلا الله ربي ورب الخلائق أجمعين، له الخلق والأمر الذي دبر الأمور بحكمته وقامت السموات والأرضون بقدرته. الخطبة.

إلى أن قال فيها: **أنا صاحب الطور ،أنا ذلك النور الظاهر، أنا ذلك البرهان الباهر ،وإنما كشف لموسى عليه السلام شقص من شقص الذر من المثقال وكل ذلك بعلم من الله ذي الجلال .**

إلى أن قال في آخرها: **كأني بالمنافقين يقولون نص ابن أبي طالب على نفسه بالربانية، ألا فاشهدوا شهادة أسألكم عنها عند الحاجة إليها أن علياً نور مخلوق وعبد مرزوق، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين**

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص ١٦٦.

ومنها الزيارة الجامعة الكبيرة فإنها قرة عين لمن عرفها وأتقنها ومن قبيل هذه الأحاديث الشريفة كثيرة جداً كلها مدونة في كتب الأصحاب عليهم الرضوان ومن أرادها فليطلبها من مواضعها لأنا لو أردنا ذكر معشار ما ورد في بيان معرفتهم عليهم السلام بالنورانية لخرجنا عما نحن بصدده وفيما ذكرنا كفاية للمستبصر الطالب للهداية.

فإن قيل هذه الأخبار أخبار آحاد عارية من القرائن ومخالفة للعقل ودالة على الغلو ومثلها لا يعرج عليها في الفروع فضلاً عن الأصول التي يطلب فيها القطع واليقين.

قلت: ليس الأمر كما زعم لثبوت أن تصحيح الأخبار ليس مخصوصاً بالسند فقط بل بنقل العلماء لها وتدوينها في كتبهم، واختلافهم في معانيها ومطابقتها للمذهب ولمحكم القرآن، ولشهادة العقول السليمة بصحتها وكل هذه حاصلة في هذه الأخبار الشريفة، ولو انحصر تصحيح الخبر وقبوله في السند خاصة ما قبل من الأحاديث ربع العشر، وليس الأمر كذلك بل عمل المتقدمين والمتأخرين على خلافه، لأن أحدهم إذا أورد على صاحبه شيئاً من هذه الأخبار الشريفة في محل المشاجرة يسلم ويصدق ولا يقول شيئاً من ذلك، وهذا ديدنهم والحق الذي لا غبار عليه وجوب اعتقاد كلما بلغنا عنهم عليهم السلام والتسليم لإذنهم العام كما في قولهم عليهم السلام: **اجعلوا لنا رباً نؤول إليه وقولوا في فضلنا ما شئتم.**

وقولهم عليهم السلام: **نزهونا عن الربوبية وعن الحضوض البشرية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا والله ما ظهر لكم من فضلنا إلا ألف غير معطوفة.**

وهذا إشارة منهم عليهم السلام إلى استحالة معرفتهم حق المعرفة على ما هم عليه بالنسبة إلى الغير إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في بيان إذنهم العام ولا

يخفى على الفطن أن ما في قولهم عليهم السلام قولوا فينا ما شئتم ألفها من أدوات العموم بل اتفق الأصوليون أنها من أدواته وهم عليهم السلام حكماء والحكيم إذا تكلم بكلام له ظاهر وأراد خلاف ظاهره وجب عليه نصب القرينة الدالة على مراده وإلا لزم الإغراء وهو قبيح قطعاً خصوصاً بالنسبة إلى من أقامه الله مقامه واسترعاه أمر خلقه وقرن طاعته بطاعته وعدم نصبها دليل على إرادة ظاهره والحاصل أن هذا الاعتراض هذيان من صاحبه لما ذكرنا ولأن طرح هذه الروايات والزيارات والدعوات الكثيرة والخطب الجليلة المستفيضة الدالة على علو مقام آل محمد الأبرار عليهم صلوات الله تترى من الملك الجبار المدونة في كتب الأصحاب رضوان الله عليهم بعد بذلهم أنفسهم في جمعها وتأليفها وتدوينها وتحصيلها وتصفيتها عن تحريف الغالين جزاهم الله عنه أفضل الجزاء وأوفر العطاء يستلزم طرح المذهب من الأصل وهدم أساسه من الفصل والمعترض قال بما لايشعر به.

وبالجملة فإن درجات الإيمان والعارفين متفاوتة قطعاً كما تنادي به البديهة وتشهد به الضرورة ﴿وَ ما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾[1].

حتى أن صاحب السفلى يكفر من أعلى منه في المعرفة لو أظهر له شيئاً من اعتقاده وصاحب الدرجة العليا يرى اعتقاد صاحب السفلى كفراً في حقه وذلك يستلزم عدم تناهي معرفتهم عليهم السلام والدليل على ذلك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله أو لكفره**. الحديث.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **يا سلمان لو عمل عملك المقداد لكفر ويا مقداد لو عمل عملك سلمان لكفر**. الحديث.

---

(١) سورة الصافات ١٦٤.

ومع ذلك كله فقد واخا بينهما يعني بين سلمان وأبي ذر والداعي إلى ذلك ما ذكرناه من جهة كل ذي رتبة يرى من دونها نقصاً وذي السافلة ينكر العالية ولا يطيقها فتوجب له تكفيره أو قتله لضعف نفسه وعدم صفائه من اللطخ والدليل على ذلك ما روي عن زين العابدين عليه السلام قوله:

ورب جوهرعلم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي   يـرون أقبح مايأتونه حسنا

ومتواتر النص والبرهان دلّ على تفاوت العارفين في معرفة آل محمد سلام الله عليهم فانظر إلى أبي ذر فإنه لا شك ولا ريب عارف أن أمير المؤمنين حجة الله وأفضل الخلق على الإطلاق بعد رسول الله وأنه عين الله ووجهه ويد الله وعيبة علمه ونفس الله وروح الله ومحبته محبة الله وبغضه بغض الله وعارف بجميع المسائل الاعتقادية على سبيل الإجمال أو التفصيل في بعض وعارف أيضاً بالمسائل الفقهية الفرعية من الحلال والحرام لا والمستحب والمكروه وأما محبته لأمير المؤمنين عليه السلام وإظهاره لفضائله فمشهورة جداً حتى أنه كان يخرج وينادي في سكك المدينة: **معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب فمن أبى فانظروا في شأن أمه**[1].

وأنه كان لا يتعلق بأستار الكعبة ويقول: **أيها الناس لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ولم تحبوا علي بن أبي طالب عليه السلام لم ينفعكم ذلك أبداً**[2].

ومع هذا كله سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه فإذا عرفت ما ذكرنا ظهر لك بطلان قوله (الأصل عدم الزيادة) وتبين أنه افتراء محض ولعمري

---

(١) البحارج: ٣٨/ ٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٢/ ٣١.

ما أعلم ما الداعي لأهل هذا الزمان يخالفون العقل والنقل المحكم ويتمسكون بالمتشابه الذي فيه نقص لآل محمد ﷺ ويتكلفون في تأويل المحكم من الآيات والروايات لأجل إثبات النقص لهم عليهم السلام وينكرون أسرار القرآن الناطقة بفضلهم الدالة على علو مقامهم عند صانعهم ويؤولونها بحسب آرائهم الفاسدة وعقولهم الناكرة الكاسدة ويسمون من أظهر شيئاً من فضائلهم النورانية المروية عن سلمان وأبي ذر والمقداد وغيرهم من المحبين المخلصين المتعمقين في معرفة مقاماتهم العالية غالياً مشركاً وصوفياً ويرفضونه ويهجرونه ويسبونه علانية ويأمرون العوام الذين هم البهائم والأنعام بذلك ثم يدعون بعد هذا كله أنهم من علماء الشيعة وأساطين الشريعة وأنهم من المحبين المخلصين﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[1] لأنهم اليوم في ريبهم يترددون وعن غيهم لا يرتدعون فأنى يبصرون فما آمن بمحمد ﷺ وآله عليهم السلام من سب ابنهم الروحاني والجسماني عداوة وبغضاً وحسداً لأجل أنه يظهر بعض لم فضائلهم مع أنهم يقولون نوالي وليهم ونعادي عدوهم ويشهدون بذلك بمحضر الإمام في الليل والنهار مراراً متعددة ولكن كما قال سبحانه ﴿**يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[2] ﴿**وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ**﴾[3].

فكل من اشتد بغضه لهذا العالم الرباني والرجل الصمداني كان من المقربين كما قيل والمرتضى من قبل هذا أظلم.

---

(١) سورة المطففين ١٥.

(٢) سورة آل عمران ٧٨.

(٣) سورة التوبة ١٧.

والحاصل ينبغي لكل من نفرت نفسه من فضائلهم العميقة في بيان مقاماتهم الجليلة الرفيعة لبعدها عن إدراك عقله العديم وخفائها عن ذهنه السقيم أن يردها إلى الله ورسوله وإليهم سلام الله عليهم ويسلم تسليماً لأن حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله أحد غيرهم[١] ورد بهذا اللفظ في بعض الروايات وفي بعض إلا من شئنا[٢] وفي بعض إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو مؤمن ممتحن وفي بعض مدينة حصينة[٣] وليتلوا هناك: ﴿وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾[٤] ولا يندرج في لفيف قوم قاموا في آيات الله يلحدون ولها يجحدون وعنها يصدون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

واعلم أيها الاخ المنصف أن أهل الدنيا شأنهم ودأبهم من لدن آدم إلى الآن كل من وصل إليه نعمة من الله سواء كان علماً أو مالاً يحسدونه ويقتلونه إن قدروا عليه وإلا أدلوا به إلى الحكام ويجعلونه غرضاً لسهام أولاد اللئام ومعرضاً لكلام نسل الطغام ويجتهدون في سلب نعمته وذهاب دولته وإطفاء نوره وهذا شأنهم ودأبهم فيما مضى وفيما غبر إلى ظهور الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه واجعلنا من انصاره وأوليائه وضاعف اللعن على مبغضيه وأعدائه وهذا شأن الحسود

---

(١) في بصائر الدرجات ٤٣ عن عيسى الفراء عن أبي الصامت قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول (إن من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن، قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله).

(٢) في بصائر الدرجات ٤٢ عن أبي الصامت قال أبو عبدالله عليه السلام (إن حديثنا صعب مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن، قلت: جعلت فداك فمن يحتمله؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت، قال أبو الصامت : فظننت أن لله عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثة.

(٣) في بصائر الدرجات ٤١ عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول (إن حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة، فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن.

(٤) سورة آل عمران ٧.

ومتى يسود وإن كنت شاكاً فيما أقول فانظر من لدن قتل هابيل قابيل إلى زماننا هذا حتى يظهر لك صدق ما قلت لكن بيانه على ما ينبغي يحتاج إلى تفصيل وبسط ولست الآن بصدد بيان هذا المطلب وإنما اتفق ذكره استطراداً وإن بلغني الله كتبت إنشاء الله رسالة في بيان هذا المطلب وحقية مذهب شيخنا قدس سره وشاع في العالمين ذكره وسيدنا ومولانا المفضال أدام الله بقاه وجعلني من كل محذور فداه فالله هو الموفق لما يحبه ويرضاه.

وإذا عرفت ما ذكرت وبينت تبين لك ووضح لك أن الذين سموا أنفسهم مؤمنين أنهم بعكس ذلك لأنهم عن التذكرة معرضين وللناطق بها مبغضين ولحديثه مكذبين ولعلو مقامه منكرين ولأنهم إذا استنشقوا روايح العرفان من أحد تفوح توجهوا إلى تكذيبه وإنكاره وإبعاده وتكفيره وحذروا الناس من إظهار اعتقاده ومن تدقيقاته وتحقيقاته وصدوهم عن حبه ووداده ورشقوه بسهام الحسد لأجل ما أنعم الله به عليه وهو مفتاح كل شر وظلمة وسبب ذلك النفاق والجهل وحب الرياسة فلنقبض العنان عن هذا الميدان ونسكت عن الكلام في هذا العنوان لأن للحيطان آذاناً وللشيطان أعواناً ونتجرع الغصص آنا فآنا إلى أن يظهر ولي لرحمن إلى الله المشتكي وبه المستعان وعليه التكلان.

ثم اعلم يا أخي أني لست من فرسان هذا الميدان ولا من الخائضين في هذا العنوان لعدم بضاعتي في هذه الصناعة وكثره إضاعتي في ملازمة هذه الطاعة لثبوت انتفاء هذه القابلية عني لأني صرفت جوهرة عمري في الإضاعة ومن هذا حاله لا يجوزله الخوض في العباب المتلاطم الأمواج وإنما تسلكه السفن المحكمة ولست منها ولكني لما رأيت حال هذه الأكوار وإنكارهم فضائل آل محمد عليهم السلام مدى السنين والأعوام أحببت

أن أكون من الناصرين لدينهم والمجاهدين لإظهار مناقبهم لثبوت عدم انحصاره في القتال بل وجوبه في هذه الأيام والليال ظاهر بلا إشكال على كل حال وينبغي لكل من يدعي أنه من المحبين أن يجاهد في نشر فضائلهم ومدائحهم بقدر طاقته ووسعه. ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾[1].

لأن هدامة أساس فضائلهم كثرت ومريدي إطفاء نورهم سلام الله عليهم ظهرت وإن كنت من المحبين فاكشف عن لثامك وجاهد في إظهار مناقب إمامك لأن الدعوى بغير شهود المدعي باطلة كما قال الشاعر:

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا
إذا انبجست دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكا

وأحب أن أخبرك عن بعض مناقشاتهم معي حتى تعلم أني صادق فيما قلت.

اعلم أنه قد اتفق لي الاجتماع معهم مراراً متعددة في بعض الليالي في الحضرة المشرفة لأني ربما أتأخر في أغلب الليالي بعد الصلاة لأجل التبرك بالنظر هناك ولكن أصير في ناحية عن الناس إلى أن تغلق الحضرة المشرفة ويتفق أنهم يحفون بي كما ذكرت في الأغلب ويسألوني عن بلدي فأخبرهم وعن مقلدي فأسكت عنهم ما كأني سمعت ويكررون القول علي حتى أقول جناب السيد السند والركن المعتمد سيد الأعاظم سيدنا ومولانا السيد كاظم أطال الله بقاه وجعلني من كل مكروه فداه فحين يسمعون بذكره الطيب الطاهر ترهق وجوههم قترة وتكون كالحة معبسة مبسرة كأنها ألبست قطعاً من الليل مظلماً ثم يقدمون مثل هذه المقدمات التي يطول بذكرها الكلام وتخرجنا عن المرام إلى أن يقع التخاطب بيني وبينهم وأقول

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦.

لهم ما الداعي لعداوتكم لهذا العالم الرباني والرجل الصمداني؟ يقولون مخالفته لطريقة علماء الفرقة الماضية قلت لهم في أي شيء خالفهم أفي الأصول أو الفروع؟ فإن كان في الثاني فهذا شأن العلماء ودأبهم يخالف بعضهم بعضاً في غير المسائل الإجماعية لأنهم عبيد النص حتى أن الرجل منهم يفتي بحكم ثم يخالف نفسه في كتاب آخر ويحكم بخلاف حكمه السابق وهذا ديدنهم لأنهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال وإن كان في الأول فحاشاه ثم حاشاه عن ذلك فإن كل من ادعى ذلك في حقه فقد افترى على الله وعلى رسوله فوالله ما رأيناه مخالفاً لضروري من ضروريات الفرقة الناجية قط بل كلما رأيناكم تنسبون إليه من هذه النقائص يزيد اعتقادنا فيه لثبوت انتفائها عنه عندنا قطعاً لما نرى فيه ويظهر لنا عنه وأما كمالاته فلا يمكن أحد إخفاؤها فإنها غير خفية عند المآلف والمخالف وعلومه فقالوا من كمالاته أن يقول أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخالق الرازق والمحيي المميت بإذن الله تعالى وأنه عليه السلام يعلم ما يصدر منا من الأفعال جزئياً وكلياً قبل الصدور وبعده وحينه وأن جميع الضمائر القرآنية راجعة إليه عليه السلام إن كانت مفردة مثل ضمير المتكلم وحده والغائب المفرد وأما المتكلم معه غيره إليهم صلوات الله عليهم وأن لفظ الجلالة موضوعة بإزاء ذاته الشريفة لأن حقيقته عنوان الحق وكذلك باقي الأسماء فهي في الحقيقة أسماء الأسماء ومن هذا القبيل ينسب إليه ما شاءالله ما نعلم هل هو صحيح أم لا.

قلت لهم: أما قولكم أنه يقول أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخالق والرازق والمحي أوالمميت فليس كما زعمتموه ونسبتموه إليه بمعنى الإفاضة والوكالة لأن مثل هذا القول ما يعقل بالنسبة إلى هذا المفضال الأوحدي الرجال الحاوي لصفات الكمال فكل من نسب إليه هذا القول في هذا

المنوال كفره ظاهر بلا إشكال لإفترائه المحض على الله ورسوله وكذبه الصرف وهو يقول سبحانه في محكم كتابه﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ على رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا على رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾ (٢) ﴿أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٣). ووجه الإستدلال بها ظاهر عند من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه.

وكيف يقول ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ﴾ (٤).

بل الذي يقول هو وغيره من المؤمنين الممتحنين بل الفرقة الناجية على حد قوله تعالى: ﴿وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللّهَ رَمى﴾ (٥). ﴿أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ﴾ (٦). ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٧). ﴿قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

---

(١) سورة هود آية ١١٨.
(٢) سورة الأعراف آية ٤٥.
(٣) سورة هود: آية ٢٠- ٢١.
(٤) سورة الروم آية ٤٥.
(٥) سورة الأنفال آية ١٧.
(٦) سورة الواقعة: آية ٤٦.
(٧) سورة التكوير آية ١٩.

وُكِّلَ بِكُمْ﴾[1]، وقوله عليه السلام: **إن لله ملكين خلاقين يقتحمان المرأة من فيها**[2].

فبالضرورة المباشر للرمي هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمباشر للزرع هو الحارث والمباشر لقبض الأرواح هو ملك الموت وأعوانه وأما الكلام فهو كلام الله قطعاً ونسبه سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم سواء فسر بجبرئيل عليه السلام أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ترى مع ثبوت أن الله هو الخالق هو المميت هو الزارع هو الرامي هو المتكلم وهذا كما ترى لا يلزم منه شيء ينافي المذهب لعدم منافاته انحصار الخلقية والإيجاد لله لثبوت صحة نسبة الفعل إلى السبب مجازاً إجماعاً ضرورياً كما نطقت به الآيات المحكمة والروايات المستفيضة وهذا مشهور حتى في محاورات العرب وإنكاره مصادمة للضروري ومزاحمة للبديهي ومراد الطيب الطاهر أنه عليه السلام هو السبب الأعظم للإيجاد لا أنه عليه السلام شريك في الإفاضة للباري أو فوض إليه الأمر لثبوت أن العالم عالم أسباب كما تنادي به البديهة وتشهد به الضرورة لأن الله سبحانه له الحمد وله الشكر أجرى عادته في إيجاد العالم أن يجري الأشياء بأسبابها بترتيب بعضها على بعض لطفاً وكرمأمنه وإلا فهو سبحانه قادر على الإيجاد بدون توسطها

---

(١) سورة السجدة آية ١١.

(٢) الحديث بطوله كما ورد في بحار الأنوار ٥٧/ ٣٤٤ عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعا عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة أبي جعفر عليه السلام قال (إن الله إذا أراد أن يخلق النطفة التي أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم حرك الرجل للجماع، وأوحى للرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح الرحم بابها فتصل النطفة إلى الرحم فتردد فيه أربعين يوما، ثم تصير مضغة أربعين يوما، ثم تصير لحما فيه عروق مشتبكة، ثم يبعث الله ملكين يخلقان في الأرحام ما يشاء يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم وفيها الرحم القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها زوح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى، ثم يوحي الله إلى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري واشترطا لي البداء فيما تكتبان، فيق،لا يا رب ما نكتب؟ قال: فيوحي الله عز وجل أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمه، فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته ورؤيته وأجله ،ميثاقه شقيا أو سعيدا وجميع شأنه، قال: فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثم يقيمانه قائما في بطن أمه، قال: فربما عتا فانقلب ولا يكون ذلك إلا في كل عات أو مارد: فإذا بلغ أوان خروج الولد تاما أو غير تام أوحى الله عز وجل إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه، قال : فيفتح الرحم باب الرحم فيبعث الله عز وجل إليه ملكا يقال له زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج، قال: فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكيا فزعا من الزجرة.

لكن الحكمة اقتضت هكذا لتتمكن الموجودات من الدليل والاستدلال على معرفة مطلوبه منهم على نمط قوله تعالى **﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾**[1] . وهذا ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد.

فإذا كان العالم كذلك وجب أن تنتهي هذه الأسباب إلى سبب لبطلان التسلسل وذلك سبب كل سبب وهو لا سبب له وهو لا يخرج إما أن يكون محمداً وآله الطاهرين أو غيرهم من المخلوقين لبطلان كونه قديماً .

فإن قلت الأول نطقت بالحق المبين الذي لا يدانيه شك ولا يعتريه ريب فهو الذي يقوله ذلك الطيب الطاهر.

وإن قلت الثاني فقد افتريت على الله وعلى رسوله افتراء عظيماً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً لتكذيبك الآيات المحكمات والروايات المستفيضات والزيارات والمتواترات عن خيرة المخلوقات واجماعات المسلمين والمسلمات حتى العامة يقرون بذلك لكثرة الروايات الواردة في هذا الشأن منا ومنهم منها قوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم :**أول ما خلق الله عقلي.**

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**[1] .

---

(١) سورة الحج الآية ٥ .

(١)بحار الأنوار ٢٥ / ٢١ روي جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أول شيء خلق الله تعالى ما هو فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق العرش من قسم و الكرسي من قسم و حملة العرش و خزنة الكرسي من قسم و أقام القسم الرابع في مقام الحب ما شاء الله ثم جعله أقساما فخلق القلم من قسم و اللوح من قسم و الجنة من قسم و أقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق الملائكة من جزء و الشمس من جزء و القمر و الكواكب من جزء و أقام القسم الرابع في مقام الرجاء ما شاء الله ثم جعله أجزاء فخلق العقل من جزء و العلم و الحلم من جزء و العصمة و التوفيق من جزء و أقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر إليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور و قطرت منه مائة ألف و أربعة و عشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي و رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء و الشهداء و الصالحين.

ومنها قوله ﷺ: **أول ما خلق الله نوري وبقيت أطوف حول العظمة ثمانين الف سنة ثم خلق نور علي عليه السلام في مقام القدرة**[1].

ومنها ما رواه ابن مسعود عنه ﷺ: **يا بن مسعود اعلم أن الله خلقني وعلياً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس**[1].

والكتب مشحونة في هذا المطلب من الأحاديث أما سمعت أن العامة يصيحون بذلك فوق المنابر في الشامات والعراقات ويقولون السلام على أول المخلوقات محمد خير البريات وأما الزيارات الواردة في هذا العنوان فكثيرة جداً منها قول الهادي إلى الحق والصواب ، علي بن محمد الجواد عليهما وعلى آبائهما وأبنائهما آلاف التحية والسلام من الملك العلام في زيارة الجامعة الكبيرة المشهورة بين الفرقة المحقة: **بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث**[3].

والأحاديث الصحيحة في هذا المعنى متواترة منها قول أمير المؤمنين وإمام المتقين عليه السلام: **كلما في العالم في القرآن وكلما في القرآن في الحمد وكلما**

---

(٢) البحارج: ١٥ص ٢٤.

(٢)ففي بحارالأنوار ٤٠ / ٤٣ ٣٤ عن ابن مسعود قال دخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله عليك السلام أرني الحق لأنظر إليه فقال يا عبد الله لج المخدع فولجت المخدع و علي بن أبي طالب عليه السلام يصلي و هو يقول في سجوده و ركوعه اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي فخرجت حتى اجتزت برسول الله ص فرأيته يصلي و هو يقول اللهم بحق علي عبدك اغفر للخاطئين من أمتي قال فأخذني من ذلك الهلع العظيم فأوجز النبي ص في صلاته و قال يا ابن مسعود أكفر بعد إيمان فقلت حاشا و كلا يا رسول الله و لكن رأيت عليا يسأل الله بك و رأيتك تسأل الله بعلي فلا أعلم أيكما أفضل عند الله عز و جل قال اجلس يا ابن مسعود فجلست بين يديه فقال لي اعلم أن الله خلقني و عليا من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح و لا تقديس ففتق نوري فخلق منه السماوات و الأرضين و أنا و الله أجل من السماوات و الأرضين و فتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش و الكرسي و علي بن أبي طالب و الله أفضل من العرش و الكرسي و فتق نور الحسن فخلق منه اللوح و القلم و الحسن و الله أفضل من اللوح و القلم و فتق نور الحسين فخلق منه الجنان و الحور العين و الحسين و الله أفضل من الحور العين ثم أظلمت المشارق و المغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة فتكلم الله جل جلاله كلمة فخلق منها روحا ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نورا فأضاف النور إلى تلك الروح و أقامها مقام العرش فزهرت المشارق و المغارب فهي فاطمة الزهراء و لذلك سميت الزهراء لأن نورها زهرت به السماوات يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله لي و لعلي أدخلا الجنة من شئتما و أدخلا النار من شئتما و ذلك قوله تعالى أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ فالكافر من جحد نبوتي و العنيد من جحد بولاية علي بن أبي طالب و عترته و الجنة لشيعته و لمحبيه.

(٢) الزيارة الجامعة الكبيرة.

في الحمد في البسملة وكلما في البسملة في الباء وكلما في الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء.

ووجه الاستدلال به ظاهر لأن مراده عليه السلام بالنقطة تحت الباء المقومة لها لا النقطة التي تحتها ظاهراً بمعنى أن قوام الباء بتلك النقطة يعني أنه عليه السلام نقطة الموجودات ومبدأ الكائنات والقطب الذي تدور عليه الحادثات لأنه فرع من فروع محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قال عليه السلام: **أنا من أحمد كالضوء من الضوء.**

وقد بينا هذا المعنى على كمال ما ينبغي في كتابنا المسمى بمفاتيح الأنوار في معرفة الأسرار، ومنها ما رواه المجلسي في تحفة الزائر: **بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يبين الله الكذب وبكم يباعد الزمان الكلب.** الزيارة.

ومنها ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال عليه السلام: يعني أمير المؤمنين عليه السلام:

إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنها الله تعالى في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فنحن روح الله وكلماته وبنا احتجب على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لاشمس ولا قمر ولا ليل ولانهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق خلقه وأخذ الله ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا وذلك قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ولتنصرن وصيه)[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٢١/ ٢٦.

(٢) بحار الأنوار ٩٨/ ١٥٣.

(٣) بحارالأنوار ٢٦/ ٢٩١ ثم قال: فقد آمنوا بمحمد و لم ينصروا وصيه و سينصرونه جميعا و إن الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد بالنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمدا صلى الله عليه وآله وجاهدت بين يديه و قتلت عدوه و وفيت الله بما أخذ علي من الميثاق و العهد والنصرة لمحمد صلى الله عليه وآله و لم ينصرني أحد من أنبيائه و رسله لما قبضهم الله إليه و سوف ينصرونني.

ومنها ما رواه جابر بن عبدالله أيضاً في تفسير قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.قال عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(**أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة ثم خلق العرش واللوح والشمس والقمر والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره ونحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن الشافعون ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله ونحن أحباء الله ونحن وجه الله ونحن أمان الله ونحن خزنة وحي الله**[1].

وعن أبي حمزة الثمالي قال:**دخلت حبابة الوالبية على أبي جعفر** عليه السلام **فقالت أخبرني أي شيء كنتم في الأظلة؟ قال كنا نوراً بين يدي الله قبل خلقه الخلق فلما خلق الله الخلق سبحنا فسبحوا وهللنا فهللوا وكبرنا فكبروا وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ومعناه لو استقاموا على حب علي** عليه السلام **لكنا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات وهو حب علي** عليه السلام **﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يعني في حب علي** عليه السلام **﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني عن ذكر علي** عليه السلام.[2] الحديث.

وعنه عن علي بن الحسين عليه السلام:(**إن الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من عظمته وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات**)[3].

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٤.

(٣) بحارالأنوار ٢٥ / ٢٥

وبالجملة فهنا أحاديث أخر متضمنة أنهم عليهم السلام أول الوجود ونقطته لكن فيما ذكرناه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد، فإذا كانوا عليهم السلام كذلك ثبت أنهم عليهم السلام هم السبب الأعظم الذي هو مبدء الأسباب كما لا يخفى ذلك على أولي الألباب.

وأما قوله أطال الله بقاه يعلم ما يصدر منا من الأفعال جزئياً وكلياً... الخ فتصديق لقوله تعالى ﴿وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾[1] .والإمام المبين هو أمير المؤمنين عليه السلام باتفاق الشيعة ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المروي بطريق معتبر في كتاب دلائل النبوة لحذيفة بن اليمان حين قال له صلى الله عليه وآله وسلم :

سمعت ابنك الحسين عليه السلام يقول: **لتجتمعن على قتلي طغاة بني أمية يقدمهم عمر بن سعد أهو كما قال عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم علمي علمه وعلمه علمي لأنا نعلم بالكاين قبل كينونته**[2] .

ولقوله عليه السلام المشهور المدون في جيمع خطبه وهو :(**علمت علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾**[3] .

ولقوله عليه السلام لسلمان وجندب:**أنا أنبأكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بإذن ربي وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمة من أولادي كذلك يعلمون**).الحديث .

---

(١) سورة يس آية: ١٢.

(٢) دلائل الإمامة ١٨٤.

(٣) البحارج: ٤٤ ص ١٨٦ رواية: ١٤.

(٤) بحار الأنوار ٢٦/٦.

ولشهادة ابنه له عليه السلام في زيارته: **السلام على شجرة التقوى وسامع السر والنجوى ومنزل المن والسلوى**[1].

ولقوله الصادق عليه السلام على ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بطريق معتبر:

إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وإني لأعلم ما كان وما يكون قال الراوي فمكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال عليه السلام علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إن الله عز وجل يقول ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾[2].

والكتاب والسنة ناطقان وإجماع الفرقة المحقة قائم على إثبات علمه وإحاطته بكل شيء قال الله تعالى **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**[3]، والمراد من المؤمنين علي وأولاده المعصومين باجماع الفرقة المحقة وأن أعمال العباد تعرض على الإمام عليه السلام صباحاً ومساءً مما شاع وذاع إلى أن خرق الأسماع وملأ الأصقاع واعتقاد الفرقة الناجية عليه كافة وهو من ضروريات المذهب المنيف والروايات في ذلك مستفيضة كادت أن تبلغ حد التواتر ومنها ما رواه ثقة الإسلام في الكافي في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: **تعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعمال العباد كل صباح ومساء أبرارها وفجارها فاحذروها وهو قول الله عز وجل ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾)**[4].

ومنها ما رواه فيه في الصحيح عنه عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل

---

(١) البحارج: ٩٧ص ٣٣٠

(٢) الكافي ١ص ٢٦١.

(٣)سورة التوبة آية ١٠٥.

(٤) الفصول المهمة ١/ ٣٩٠، الكافي ١/ ٢١٩.

﴿وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ قال: (**هم الأئمة**)[1].

ومنها ما رواه فيه في الموثق عنه عليه السلام أنه قال: **ما لكم تسوؤون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رجل كيف نسوؤه فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك فلا تسوؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسروه**)[2].

ومنها ما رواه فيه في الصحيح: **عن عبدالله بن أبان الزيات وكان يكنى عبد الرضا عليه السلام قال قلت للرضا عليه السلام أدعو الله لي ولأهل بيتي قال عليه السلام: أولست أفعل والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة: فاستعظمت ذلك فقال: أما تقرأ كتاب الله ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: هو والله علي بن أبي طالب وأولاده**)[3].

ومنها ما رواه أبو القاسم الشيخ جعفر بن الشيخ محمد في كامل الزيارة عن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل: **إن قلوبنا غير قلوب الناس إنا مصفون ومصطفون نرى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون وإن الملائكة تنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا.**

إلى أن قال عليه السلام: **وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلا أوتينا بخبره وكيف سيرته في الذين قبله وما من أرض في ست أرضين إلى السابعة إلا ونحن نؤتى بخبرها، قلت: جعلت فداك إليكم جميعاً يلقون الأخبار قال عليه السلام: لا إنما يلقى ذلك إلى صاحب الأمر وإنا لنحمل ما لا يقدر العباد على الحكومة فيه فنحكم فيه فمن لم يقبل لحكومتنا جبرته الملائكة على قولنا وأمرت**

---

(١) الكافي ١ / ٢١٩

(٢) الكافي ١/ ٢١٩.

(٣)سورة التوبة آية ١٠٥.

الذين يحفظون ناحيته أن يقسروه على قولنا وإن كان من الجن من أهل الخلاف والكفر أو ثقته وعذبته حتى تصير إلى ما حكمنا به قلت: جعلت فداك فهل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب قال يابن بكر فكيف يكون حجة على ما بين قطريها وهو لا يراهم ولا يحكم فيهم وكيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر عليهم ولا يقدرون عليه وكيف يكون مؤدياً عن الله وشاهداً على الخلق وهو لا يراهم وكيف يكون حجة وهو محجوب عنهم وقد حيل بينهم وبينه أن يقوم بأمر ربه فيهم والله يقول ﴿وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ يعني به ما على الأرض والحجة من بعد النبي ﷺ يقوم مقامه وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الأمة)[1] **الحديث.**

إلى غير ذلك من الروايات المستفيضة عن أولئك الهداة عليهم السلام من باريء النسمات.

أما سمعت ما رواه ثقة الإسلام في الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام أن المفضل قال: **جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء قال: لا الله أرحم وأكرم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً)**[2].

وماوراه أيضاً فيه بطريق معتبرعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال وعنده أناس من أصحابه: **عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفونا أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ﷺ ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله**

---

(١) كامل الزيارات ٥٤١.

(٢) الكافي ١/ ٢٦١.

برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السموات والأرض ويقطع مواد العلم فيما يرد عليهم مما به قوام دينهم فقال له حمران جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عز ذكره وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا أو غلبوا فقال أبو جعفر عليه السلام يا حمران إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثم أجراه فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام علي والحسن والحسين عليهم السلام وبعلم صمت من صمت منا ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عز وجل وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عز وجل أن يدفع عنهم ذلك ولحوا عليه في طلب إزالة ملك تلك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها فلا تذهبن بك المذاهب فيهم)[1].

أما سمعت قول الصادق عليه السلام لأبي بصير على ما رواه ثقة الإسلام فيه أيضاً بطريق معتبر حين قال له: **جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم علياً عليه السلام باباً يفتح من كل باب ألف باب، قال: فقال يا أبا محمد علم رسول الله علياً عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب قال**

---

(١) الكافي ١/ ٢٦١.

قلت هذا والله العلم قال فنكت ساعة في الأرض ثم قال إنه لعلم وما هو بذاك قال ثم قال يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال قلت: جعلت فداك وما الجامعة قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إليّ فقال: أتأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت قال: فغمرني بيده وقال: حتى أرش هذا- كأنه مغضب- قال قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وليس بذاك سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر قال قلت: وما الجفر قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل قال قلت إن هذا هو العلم قال: إنه لعلم وليس بذاك ثم سكت ساعة ثم قال وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام قال قلت: جعلت فداك وما مصحف فاطمة عليها السلام قال عليه السلام: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد قال قلت، هذا والله العلم قال إنه لعلم وما هو بذاك ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال قلت: جعلت فداك هذا هو العلم قال إنه لعلم وليس بذاك قال قلت: جعلت فداك فأي شيء العلم قال: ما يحدث بالليل والنهار والأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة)[1] .

أو ما سمعت أيضاً ما رواه فخر الدين بطريق معتبر في كتابه المسمى

---

(١) الكافي ١/ ٢٣٩-٢٤٠.

بالمنتخب في جمع المراثي والخطب عن أبي سدير الصيرفي أنه قال: **كنت نائماً ليلة الجمعة فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وبين يديه طبق مغطى فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فكشف لي عن الطبق وإذا فيه رطب جني فقلت: يا رسول الله ناولني من هذا الرطب رطبة فناولني رطبة فأكلتها ولم يزل ﷺ يناولني رطبة بعد أخرى حتى أكلت ثمان رطبات ثم طلبت منه أخرى فقال لي حسبك فانتبهت من نومي وأنا مسرور برؤيته فلما أصبحت دخلت على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام لأقص عليه رؤياي وإذا بين يديه طبق مغطى كأنه الطبق الذي رأيته قدام النبي ﷺ في منامي فلما استقر بي المجلس عنده التفت إليّ وكشف لي عن الطبق وإذا فيه رطب فقلت: يا مولاي ناولني رطبة فناولنيها فأكلتها ثم سألته أخرى فأكلتها ثم سألته أخرى فأعطانيها حتى ناولني ثمان رطبات فأكلتهن ثم سألته أخرى فقال لي عليه السلام: حسبك يا أحمد فلو زادك جدي لزدتك فقلت: يا سبحان الله من أخبرك برؤياي يا سيدي فقال عليه السلام: يا أحمد والله لا يخفي علينا شيء من أفعالكم وأعمالكم كما قال الله عز وجل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**.

وأيضاً أو ما سمعت ما قاله عليه السلام لحمران على ما رواه الكليني أيضاً في الكافي في المعتبر: **يا حمران هل قرأت القرآن قلت: بلى قال عليه السلام: هل قرأت قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قلت نعم يا سيدي قال: ذاك آصف بن برخيا أتى بعرش بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى الشام بأقل من طرفة عين وعنده حرف من الكتاب ثم قال عليه السلام: هل قرأت قوله تعالى:**

﴿قُلْ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ قلت نعم فقال عليه السلام: يا حمران ما أقل ذاك بالنسبة إلى هذا ثم قال عليه السلام: إن علم الكتاب كله هنا وأشار بيده إلى صدره الشريف[1] **الحديث نقل بالمعنى.**

والأخبار الواردة في بيان أنهم عليهم السلام عندهم علم الكتاب كله كثيرة جدا والكليني رضوان الله عليه روى نبذاً منها في الكافي منها ما رواه فيه عن جابر أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: **ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا هو كذاب وما جمعه وحفظه كما أنزله الله إلا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده)**[2].

ومنها ما رواه فيه عن جابر أيضاً أنه سمعه عليه السلام يقول: **ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء عليهم السلام**.

ومنها ما رواه فيه عن عبد الأعلى مولى آل سام أنه سمع الصادق عليه السلام يقول: **إني والله لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر**

---

(١) الكافي ١ / ٢٥٧ عَنْ سَدِيرٍ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَ أَبُو بَصِيرٍ وَ يَحْيَى الْبَزَّازُ وَ دَاوُدُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا وَ هُوَ مُغْضَبٌ فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ يَا عَجَباً لِأَقْوَامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَتِي فُلَانَةَ فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ هِيَ قَالَ سَدِيرٌ فَلَمَّا أَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَ صَارَ فِي مَنْزِلِهِ دَخَلْتُ أَنَا وَ أَبُو بَصِيرٍ وَ مُيَسِّرٌ وَ قُلْنَا لَهُ جُعِلْنَا فِدَاكَ سَمِعْنَاكَ وَ أَنْتَ تَقُولُ كَذَا وَ كَذَا فِي أَمْرِ جَارِيَتِكَ وَ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْلَمُ عِلْماً كَثِيراً وَ لَا نَنْسُبُكَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ قَالَ فَقَالَ يَا سَدِيرُ أَ لَمْ تَقْرَأِ الْقُرْآنَ قُلْتُ بَلَى قَالَ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ قَرَأْتُهُ قَالَ فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ وَ هَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ أَخْبِرْنِي بِهِ قَالَ قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أَقَلَّ هَذَا فَقَالَ يَا سَدِيرُ مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسُبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ يَا سَدِيرُ فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَيْضاً قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ قَالَ قُلْتُ قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ أَ فَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ قُلْتُ لَا بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ قَالَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَ قَالَ عِلْمُ الْكِتَابِ وَ اللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا عِلْمُ الْكِتَابِ وَ اللَّهِ كُلُّهُ عِنْدَنَا .

(٢) الكافي ١ / ٢٢٨.

(٣) الكافي ١ / ٢٢٨.

السماء وخبر الأرض وخبر ما هو كائن قال الله تعالى ﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾)[1] .

ومنها ما رواه عليه السلام فيه بطريق معتبر عنه عليه السلام أنه قال عليه السلام: **قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان وما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي إن الله يقول ﴿ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً ﴾)**[2] .

ومنها ما رواه عليه السلام فيه عن إسماعيل بن جابر عنه عليه السلام أنه قال: **(كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه)**[3] .

ومنها ما رواه فيه عن بريد بن معاوية قال: **قلت لأبي جعفر عليه السلام ﴿قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ قال: إيانا عنى وعلي عليه السلام أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم)**[4] .

فإذا ثبت أن علم الكتاب كله عندهم عليهم السلام ظهر وتبين أنهم يعلمون كل شيء كلياً أو جزئياً بتعليم الله لهم لأن الله سبحانه قال في محكم كتابه المجيد **﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾**[5] **﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾**[6] **﴿تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً﴾**[7] **﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[8] **﴿وَكُلَّ**

---

(١) الكافي ١/ ٢٢٩.
(٢) الكافي ١ / ٦١.
(٣)الكافي ١ / ٦١.
(٤) تفسير الصافي ٣ / ٧٧.
(٥) سورة الأنعام آية ٥٩.
(٦)سورة يوسف آية ١١١
(٧) سورة النحل آية ٨٩.
(٨) سورة الأنعام آية ٣٨

شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾[1] .إلى غير ذلك من الآيات المحكمة الدالة على هذا المعنى فإذا كان كل شيء في الكتاب كما هو صريح الآيات وتقدم لك أن علم الكتاب كله عند أمير المؤمنين عليه السلام ظهر صدق قول ذلك الطيب الطاهر بن الطاهرين أن أمير المؤمنين يعلم ما يصدر منا... إلخ. وتبين أنه طبق قول أجداده حرفاً بحرف فمن راجع خطبه وكلماته الشريفة في بيان معرفتهم بالنورانية كخطبة البيان والطتنجية والافتخار وغيرها من الخطب المشهورة ظهر له كالشمس في رابعة النهار وزال عنه الشك والريب مثل قوله عليه السلام فيما تقدم: **أنا الذي عندي مفاتح الغيب لايعلمها بعد محمد غيري وأنا بكل شيء عليم ولولا خوفي عليكم أن تقولوا جن ابن أبي طالب وارتد لأخبرتكم بما كان وما أنتم عليه وما تلقونه إلى يوم القيامة.**

وبالجملة فإن النصوص المستفيضة من أهل الخصوص عليهم السلام من بارىء النفوس في بيان هذا العنوان أكثر من أن تحصى ومن راجع الكافي ومدينة المعاجز والبرهان والينبوع والمجالس والبحار وكتب الأخبار المروية عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ما أظلم ليل وأضاء نهار بعين الإنصاف بدون تعنت واعتساف حصل له القطع واليقين بصدق مقالة ذلك الجناب ومقالتنا أما الكافي ففيه باب معقود في بيان أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل وباب نادر في علمهم الغيب وباب أنهم يعلمون علم المنايا والبلايا وأنهم عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا وباب في أنهم ينصب لهم عمود من نور فينظرون فيه إلى أعمال العباد وباب أنهم يعلمون علم ماكان ومايكون وأنه لايخفى عليهم

---

(١) سورة النبأ آية ٢٩.

شيء في الأرض ولا في السماء إلى غير ذلك مما يطول به الكلام وفي الجامعة الكبرى أنهم خزنة علم الله وفيها أنهم عيبة علم الله ومظهر سره وكذا في الكافي وفي الصحيفة السجادية: **وعلمهم علم ما كان وعلم ما بقي)**[1] .

وفي زيارة آل يس: **وعلمهم علم مجاري خلقه فيما قضاه ودبره من محتومات أمره**[2] .

وفي كثير من الأدعية كذلك فهم خزان علمه على رغم أنف الجاحدين وهم مفاتيح غيبه ومحيطون بكل شيء جزئي وكلي والأخبار الدالة والروايات الناصة على أنهم عليهم السلام هم العلل الأربع عليهم السلام كما يأتي إنشاء الله تعالى تدل أيضاً على إحاطة علمهم بكل شيء وكذا ما دل على أنهم أسماؤه المحيطة بكل شيء وأنهم محال صفاته ومظهر مشيئته وأن الله جعل قلوبهم ألسن مشيئته يدل أيضاً على علمهم بكل شيء دخل في حيز الكون وفي تفسير العياشي في قوله تعالى **﴿وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾**[3] .

وعن الحسين بن خالد قال: **سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ) إلى ﴿مُبِينٍ﴾، فقال: الورقة السقط يسقط من بطن أمه قبل أن يهل الولد قال فقلت ﴿وَ لا حَبَّةٍ﴾ قال: يعني الولد في بطن أمه إذا أهل ويسقط قبل الولادة قال: قوله ﴿وَ لا رَطْبٍ﴾ قال: يعني المضغة**

---

(١) الصحيفة السجادية ٣٤.

(٢) في بحار الأنوار ٩١/ ٣٦ (قد آتاكم الله يا آل ياسين خلافته و علم مجاري أمره فيما قضاه و دبره و رتبه و أراده في ملكوته).

(٣) سورة الأنعام ٥٩.

إذا استكنت في الرحم قبل أن يتم خلقها قبل أن ينتقل قال: قوله ﴿وَلا يابِسٍ﴾ فقال: الولد التام قال قلت: ﴿فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ قال: في إمام مبين)[1] **انتهى.**

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ﴾[2] .

قال عليه السلام: **وكان والله محمد صلى الله عليه وآله ممن ارتضاه وأما قوله تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ﴾ فإن الله عالم بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء ويقضيه في علمه فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه وفيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه فأما العلم الذي يقدر الله ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا)**[3] .

فعلى من نقمتم أعلى الله حيث انتجبهم واصطفاهم لعلمه أنهم خيرة خلقه وجعلهم في هذا المقام أم على محمد وآله حيث أخلصوا لله العبودية في ظواهرهم وبواطنهم حتى استأهلوا هذه الرتبة التي لا يطمع فيها أحد من الموجودات لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولا شهيد أم على سيدنا المنتجب حيث أطاع الله ورسوله وآل رسوله في إظهار فضائلهم ونشرها وايفائه بالعهد الذي أخذ عليه في عالم الذر.

---

(١) بحار الأنوار ٤ / ٩٠.

(٢) سورة الجن آية ٢٦.

(٣) الرواية بأكملها كما جاءت في الكافي / ٢٥٦ عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ سَمِعْتُ حُمْرَانَ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِعِلْمِهِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ كَانَ قَبْلَهُ فَابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرَضِينَ وَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُنَّ سَمَاوَاتٌ وَ لَا أَرَضُونَ أَ مَا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ أَ رَأَيْتَ قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ وَ كَانَ وَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ مِمَّنِ ارْتَضَاهُ وَ أَمَّا قَوْلُهُ عالِمُ الْغَيْبِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَالِمٌ بِمَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِيمَا يَقْدِرُ مِنْ شَيْءٍ وَ يَقْضِيهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُ وَ قَبْلَ أَنْ يُفْضِيَهُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَذَلِكَ يَا حُمْرَانُ عِلْمٌ مَوْقُوفٌ عِنْدَهُ إِلَيْهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ فَيَقْضِيهِ إِذَا أَرَادَ وَ يَبْدُو لَهُ فِيهِ فَلَا يُمْضِيهِ فَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَقْضِيهِ وَ يُمْضِيهِ فَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ إِلَيْنَا .

وأما أنه يقول أن جميع ضمائر القرآن راجعة إليه... إلخ، فإني والله سمعت بأذني هاتين مراراً متعددة وإلا صمتا يقول أيها الناس إن كل من افترى علي وقال أني أقول أن الضمائر التي في القرآن ترجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو إلى أحد غير الله فإنه كاذب فاجر ملحد بافترائه على الله ورسوله فإن من يقول بذلك كافر.

وسمعته مراراً كثيرة ينقم على الصوفية في تأويلهم القرآن بارائهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة لعنهم الله من غير نص آل محمد صلوات الله عليهم.

وأما قولكم أنه يقول أن لفظ الجلالة موضوع بإزاء ذاته الشريفة، فليس كما زعمتم ونسبتم إليه بل الذي يقوله تبعاً لأجداده الطاهرين ما قالوه قال به وما دانوه دان به وهم عليهم السلام قالوا: **لا تؤلف كلمة من حرفين فصاعداً إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك الحديث.**

وقالوا: **المعنى في اللفظ كالروح في الجسد.**

وقالوا: **الألفاظ قوالب للمعاني.**

وقالوا: **والأدوات تحد أنفسها والآلات تشير إلى نظائرها**[1].

وقال الله تعالى ﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ﴾[2].

ووجه الاستدلال بالآية ظاهر لأن الأسماء اللفظية كلها في القرآن وهو محدث وما حواه المحدث محدث بطريق أولى فتبين أن هذه الألفاظ لا تقع عليه ولا تشير إلى معناه لحدوثها وحدوث معانيها والله تعالى ليس له اسم ولا رسم ولا صفة ولا يعرف ما هو في سر ولا علانية والأسماء مسمياتها

---

(١) بحار الأنوار ٤٧/ ١٣٠.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢.

عندها والألفاظ معانيها نفسها قال عليه السلام: **إن الله خلق الحروف وجعلها فعلاً منه ولم يجعل لها غير أنفسها معنى.**

فإذا ثبت أن أسماءه تعالى حادثة لتركبها وتألفها من حروف الهجاء وهي حادثة يقيناً والمؤلف من الحادث حادث كما نطق به صريح القرآن ظهر وتبين عدم كونها موضوعه بإزاء الذات البات لاستلزام ذلك النقايص في حقه تعالى والمحذورات لو قيل به منها الإنتقال في حقه تعالى لأنه سبحانه كان ولم تكن معه كما قال الإمام عليه السلام:**كان الله ولم يكن معه شيء .**

فإذا كان كذلك تبين لمن طلب الحق عدم كونه تعالى مسمى بها من حيث الذات لأنه قبل أن يوجدها لم يكن مسمى بها وبعد أن أوجدها كان مسمى بها وهو باطل بالضرورة لأن الإنتقال من لوزام الحدوث.

ومنها أنه سبحانه لو كان مسمى بها لزم اقترانه بها ضرورة أن الاسم والمسمى مقترنان وهو أيضاً من لوازم الحدوث الذي يمتنع منه الأزل.

ومنها أن وجود المناسبة الذاتية بين الأسماء ومسمياتها كما هو الحق عند أهل الحق هو ،المختار عنده لثبوت أن الواضع هو الحكيم تعالى كما هو المشهور عند الفرقة ومستندهم في ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالى﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها**﴾[1] .فهي جمع محلى بالألف واللام وإفادة العموم منه ظاهرة عند من له أدنى مسكة وإنما أكدها بقوله (**كُلَّها**) لئلا تقولوا ما من عام إلا وقد خص.

ومنها قوله تعالى﴿**يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾[2] .

ومنها قوله تعالى ﴿**وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ**﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة آية ٣١.
(٢) سورة مريم آية ٧.
(٣) سورة الروم آية ٢٢.

ووجه الاستدلال ظاهر عند الفطن فلما ثبت ذلك أعني كون الواضع هو الحق على ما هو الحق عند أهل الحق وجب وجود المناسبة الذاتية بين الأسماء ومسمياتها وهي أيضاً من مقتضيات الحدوث الممتنع منه الأزل والمناسبة والمشابهة منتفيتان بينه وبين الحدوث قطعاً **(يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وجل عن ملائمة كيفياته)**[1] وقد أوضحت هذه المسألة في رسالتنا المسماة بمفاتيح الأنوار بما لا مزيد عليه وإن أردت الإطلاع عليها فاطلبها هناك.

وبالجملة فإن مراد هذا الطيب الطاهر أن أسمائه تعالى موضوعة بإزاء عنوانه وظهوره لا ذاته المقدسة لإستحالة الوضع لإزائها لما تقدم ولأن الواضع لا بد حين الوضع أن يتصور المسمى ليضع الاسم بإزائه والذات البحت البات لا تتصور ولا تتعقل بوجه من الوجوه لاستلزام ذلك المحاذير التي يطول الكلام بذكرها والمتصور إنما هو العنوان والظهور والأسماء إنما وضعت بإزائهما هذا إذا كان الواضع غيره تعالى وأما على القول بأنه هو فيلزم منه تعدد القدماء كما لا يخفي وهو من البطلان بمكان ولكن إذا أطلقت فالمراد منها الذات البحت البات لا غير وإن كان موقعها العنوانات والظهورات والعلامات وهذا هو الحق المبين والصراط المستقيم الذي يجب سلوكه المنجي صاحبه من العذاب الأليم وبعض الليالي تصير الغلبة لهم لا بالدليل بل بمجرد القال والقيل لصدهم عن الإهتداء إلى اسواء السبيل وحاشا ثم حاشا أن يكون لهم دليل على ما يدعون لأن الخير مسلوب عنهم حين حادوا عن الحق الواضح وسلكوا السبيل الفاضح. **﴿وَإِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ**

---

(١) دعاء الصباح المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1] ﴿وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[2]. لأنهم يتكلفون باللجاج والعناد وإبرام أدلة مجتثة ليثبتوا نقصاً لآل محمد لما في قلوبهم من المرض حتى أني أخرج من الحضرة المشرفة حزين القلب باكي العين مما أرى منهم من الإنكار والجحود لفضائل ساداتي الكرام والعداوة لابنهم المقدام وبعض الليالي تصير الغلبة لي بإضاح السبيل بالدليل القطعي من العقلي والنقلي بإمداد الولي حتى يظهر الحق لهم كالشمس في رابعة النهار وإن كان الحق دائماً ظاهراً غني عن الإظهار أو ما سمعت أن الشمس تطمس أعين الخفاش والحق مضر بأسماع الأوباش وهذا هو الداعي لتحرير هذه الكلمات وتسطير هذه السطيرات لعل أحد يتذكر أو يخشى ويتجنب سبيل الغي والردى إنا لله وإنا إليه راجعون. الفرج الفرج يا صاحب الفرج الجور فاض وطم بالماء الفم وسميتها (نجاة الهالكين في بيان حصر العلل الأربع في محمد وآله الطاهرين) سلام الله عليهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين ورتبتها على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

---

(١) سورة المنافقون آية ٤.
(٢) سورة التوبة آية ٥٦.

مقدمة

فأقول وبالله الثقة والمأمول أما المقدمة ففي ذكر نبذ من الأخبار الدالة على ثبوت الامتحان للفرقة الناجية المحقة.

روي الكليني في الكافي عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول﴿ **ألم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ**﴾ **ثم قال: ما الفتنة قلت: جعلت فداك الذي عندنا الفتنة في الدين قال** عليه السلام **يفتنون كما يفتن الذهب ويخلصون كما يخلص الذهب)**[1] .

وروي أيضاً فيه في المعتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال(**إن حديثنا هذا لتشمئز منه قلوب الرجال فمن أقر به فزيدوه ومن أنكره فذروه إنه لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها بطانة وليجة حتى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا)**[2] .

وروي فيه أيضاً في المعتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال يومئذ وهو يخطب:(**ألا إن بليتكم قد عادتs كهيئتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والذي بعثه بالحق نبياً لتبلبن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سباقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا)**[3] .

وروي فيه أيضاً عن منصور قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام:(**إن هذا الأمر**

---

(١) الكافي ١ / ٣٧٠.
(٢) الكافي ١ / ٣٧٠.
(٣) الكافي ١ / ٣٦٩.

لا يأتيكم إلا بعد أياس ولا والله حتى تميزوا ولا والله حتى تمحصوا ولا والله حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)[1].

وروي فيه أيضاً في الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لنفر من أصحابه: **(في أي شيء أنتم هيهات هيهات لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحموا لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم. حتى تميزوا لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد أياس لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)**[2].

وروي فيه أيضاً عنه عليه السلام أنه قال عليه السلام: **(لابد للناس أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير)**[3].

تنبه أيها الغافل وتحذر من ألا تكون ممن يخرج من الغربال ويقصر من بعد سبقه ويشقى من بعد سعده فإن آل محمد عليهم السلام هم الغربال والمحك للخلق فبهم يمتحن الله الخلق وبهم يميزهم وبهم يشقى من يشقى وبهم يسعد من يسعد خصوصاً أمير المؤمنين عليه السلام فلا تنفعك معرفتهم من دون موالاتهم ومحبتهم وبغض من عاداهم والبراءة ممن ناواهم وآذاهم وغصب حقهم وأخفى ذكرهم ولا ينفعك ذلك إلا بطاعتهم والإقرار بجميع فضائلهم والتسليم لهم فيما ادعوا لأنفسهم ولا ينفعك ذلك أيضاً أبدا إلا بموالاة وليهم ومعاداة عدوهم وطاعتهم وعدم الرد عليه فلو أنكرت شيئا من ذلك وخالفت كنت ممن خرج من الغربال وتميز وصار من أصحاب الشمال الهالكين بلا إشكال.

---

(١) الكافي ١ / ٣٧٠.
(٢) الكافي ١ / ٣٧٠.
(٣) الكافي ١ / ٣٧٠.

والحاصل يا أخي احذرثم احذر أن يدخلك شك في شيء من فضائلهم القدسية ومناقبهم النورانية فإن إبليس وجنوده في هذه الأعوام والسنين همهم ودينهم اغواء هذه الفرقة المحقة لأنه لعنه الله تعالى بعد تأخير قطب رحى الوجود عن محله ظاهراً أدرك منيته من ذرية آدم عليه السلام وبلغ هلاكهم على النهاية وأدخلهم الهاوية وما أدراك ما هي نار حامية لأنه أتاهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم حتى احتنكهم عن آخرهم إلا قليلا منهم وهم الذين عصمهم الله بحبال الوجود عليهم السلام وجعل همته وجنوده على إغواء هؤلاء الناجين المتمسكين بحبل الله الممدود والعروة الوثقى التي لا انفصام لها كما هو صريح قول زين العابدين وسيد الساجدين عليه وعلى آبائه وأبنائه سلام رب العالمين لزائدة:**إن جدي أمير المؤمنين عليه السلام قال حين وفاته لعمتي زينب لما قالت له يا أبتي حدثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك فقال يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذه البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس فصبراً صبراً يا زينب فوالذي فلق الحبة وبرء النسمة ما لله ولي على ظهر الأرض يومئذ غيركم وغير محبيكم وشيعتكم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أخبرنا بهذا الخبر أن ابليس عليه اللعنة في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا همكم وشغلكم بتشكيك الناس فيهم وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم وشيعتهم حتى نستحكم**

ضلالة الخلق وكفرهم ولاينجو منهم ناج (وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وهو كذوب لأنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم والإقرار بفضائلكم ذنب غير الكبائر)[1] .

---

(١) كامل الزيارات ٤٤٨، بحار الأنوار ٢٨ / ٦١، العوالم (الإمام الحسين) ٣٦٦.

الفصل الأول

في بيان عدم جواز اطلاقا العلة على الله تعالى بوجه من الوجوه

اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك إلى الإرتقاء إلى أعلى الدرجات بإزالة الشكوك والشبهات أن العلة لا يصح اطلاقها على الله سبحانه ولا يجوز أن يكون القديم علة لخلقه لوجوه منها.

أن أسماءه تعالى توقيفية فلا يجوز لأحد أن يسميه من تلقاء نفسه للأخبار المستفيضة عن سادات البرية عليهم السلام الدالة على توقيفيتها وعدم جواز تسميته بشيء سوى ما سمي به نفسه لكون ما أحد يعلم بما يليق له من الأسماء قال الرضا عليه السلام لسليمان المروزي: **يا سليمان ليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه**[1].

ولم يرد اطلاقها عليه تعالى لا في كتاب ولا سنة أبداً ولا ادعاه مدع بل الذي ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في أدعيتهم وخطبهم وأخبارهم عليهم السلام إطلاقها على الخلق كما هو صريح قوله عليه السلام في دعاء العديلة **كان عليماً قبل ايجاد العلم والعلة** وفي الخطبة اليتيمة المروية عن أمير المؤمنين: **علة ما صنع صنعه وهو لا علة له.** كما هو صريح في قول الحسين عليه السلام: **إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني**[2].

فبالله عليك أيها المنصف لو أراد أحد أن يعبر عن عدم جواز إطلاقها على الله تعالى أمكنه أن يأتي بعبارة تدل على المطلوب أعني عدم الجواز

---

(١) بحار الأنوار ١٠/ ٣٣٦.

(٢) بحار الأنوار ٩٥/ ٢٢٦.

أصرح من قوله الشريف. لكن إلداعي لهم في تجويزهم إطلاقها على الله سبحانه وجودها فيهم ولزومها لهم وهي التي تصدهم عن اتباع الحق وتميل بهم إلى الباطل وقد ورد عن أمير المؤمنين وسيد الموحدين في حديث الأعرابي المشهور أنه لما سأله عن العقل قال عليه السلام العقل جوهر بسيط دراك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه شيئاً فهو علة الموجودات ونهاية المطالب.

فإذا ثبت عدم ورود إطلاقها عليه تعالى في كتاب وسنه ظهر عدم جواز اطلاقها عليه سبحانه لنهيهم عليهم السلام عن تسميته بما لم يسم به نفسه.

ومنها أن العلة قسمان تامة وناقصة فالأولى هي التي يستحيل تخلف المعلول عنها وإلا لكان لا معنى لوصفها بالتمام فلو كان الله عز وجل علة للكائنات بهذا المعنى لما جاز تخلفها عنه فيلزم حينئذ أن يكون فاعلاً موجباً لا مختار أو يلزم أن يكون من لوازم ذاته عدم التخلف عنها ويلزم أيضاً أن يكون مقترناً بها ومتصلاً بها ويلزم أيضاً أن يكون محلاً لها لظهور الملزوم محلاً للازمه ويلزم أن تكون مندرجة فيه لثبوت اندراج اللوازم في الملزومات سواء كان ذكراً أو عيناً لأن كلاهما باطلان.

والثانية هي التي لا تستقل إلا بممد يمدها آناً فآن فلو كان الله عز وجل علة بهذا المعنى للزم استكماله واحتياجه إلى ممد يعينه ويمده وذلك يستلزم حدوثه فظهر من هذا التقرير التام أن كونه تعالى علة لغيره باطل عاطل أي علة كانت.

الفصل الثاني

في بيان أن الفاعل من الصفات الفعلية المتعلقة بالخلق

اعلم يا أخي أن مبدأ اشتقاق الفاعلية هو الفعل والمشتق يتبع المبدأ فإذا كان ذاتاً فيكون المشتق ذاتياً وإن كان فعلاً فيكون المشتق فعلياً والفعل ليس هو الذات كما ستعرف سريعاً إنشاء الله تعالى فالفاعل لو كان هو الذات بنفسها لزم إثباتها مرة ونفيها أخرى كقولك زيد صائغ فتثبت له الصياغة إذا كان صائغاً وتنفيها عنه إذا لم يكن صائغا فلو كان الصائغ هو ذات زيد وعينه للزم أن زيداً يدور مدار النفي والإثبات وهو باطل بالضرورة ثم لو كان الصايغ هو ذات زيد للزم أن يكون مرفوعاً على الأصالة لا على التبعية ألا ترى أنك إذا قلت جاء زيد الصائغ مثلاً يكون مرفوعاً على التبعية باتفاق النحاة وإذا قلت جاء أخوك زيد يكون مرفوعاً على البدلية لا التبعية، وبالجملة فلو كان الصائغ أو القائم في جاء زيد القائم والصائغ هو الذات أو هي مع الصفة لكان الصائغ والقائم مرفوعين على البدلية لاستناد المجيء إليهما حقيقة كما تقول جاء أخوك زيد وهذا أدل دليل على أنهما غيره البتة فإن قيل أن زيداً في جاء أخوك زيد ليس موصوفاً بصفة وإلا لكان مثلها في الإعراب قلت بلى موصوفاً بالاسم المميز له من بين إخوته لأن الاسم والصفة شيء واحد كما نص عليه مولانا الرضا عليه السلام والفرق بينهما أن استناد القيام في قائم إلى نفسه لا إلى الذات وكذلك الصياغة بخلاف الاسم في البدل فإنه مستند إليها لا إلى غيرها ولا إلى نفسه وهذا ظاهر إنشاء الله تعالى ما يحتاج إلى أزيد من هذا البيان فالمشتق قائم بمبدئه

قيام ركن وتحقق وذلك لأنه لا بد أن يكون مذكوراً في المشتق. بحيث يكون مقوماً له كالصائغ والقائم فإنه يجب فيهما اعتبار الصائغية والقائمية وأيضاً يجب أن يكون مقوماً للمشتق لأن وجوده مرتبط بوجوده فهو لا يتحقق إلا بعد تحققه فالصائغ والقائم ظهور زيد بالصياغة والقيام وشتان بينهما وبينه إلا أن الصائغ والقائم هو زيد بظهوره في الصياغة والقيام إذا عرف الصائغ والقائم عرف زيد. إذ لا فرق بينهما وبينه في التعريف والتعرف والمعرفة إلا أنهما عبداه وأثراه وصفتاه جعلهما في الأثر يعرفه بهما من عرفه فكذلك الواجب سبحانه هو الفاعل لكن بفعله لا بذاته المقدسة لتكرمه عن ذلك ففاعليته من صفاته الفعلية لجواز نفي الفاعلية عنه في قولك لم يفعل ولم يشأ قال الله تعالى﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[1] ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ﴾[2] .

وقد صرح بذلك مشايخنا الإمامية عليهم السلام مثل المجلسي رحمه الله في البحار والكليني في الكافي والصدوق في العيون وفي العلل والاعتقادات وصاحب العوالم إلى غير ذلك من العلماء الأعلام في كتبهم ودفاترهم في تفريق صفات الذات وصفات الفعل وقالوا بأن الفاعلية من صفات الفعل والفارق بين الصفات الذاتية والفعلية هو أن كل صفة يجوز أن يتصف الواجب بها وبنقيضها فهي من الصفات الفعلية وكل صفة لا يجوز أن يتصف الواجب بها وبنقيضها فهي من الصفات الذاتية كقولك علم وقدر وشاء وفعل وليس لك أن تقول لم يعلم ولم يقدرولك أن تقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولم يشأ أن يهديهم ولم يفعل بي إلا الصالح إلى

---

(١) سورة المائدة آية ٤١.

(٢) سورة الأنعام آية ١٣٧.

غير ذلك من صفات الفعل مثل خلق لم يخلق ورزق لم يرزق وربما يتوهم بعض القاصرين عن المعارف الإلهية بأن الفاعلية لو كانت من صفات الفعل للزم التعطيل في الذات وهذا توهم كاسد وخيال فاسد لأن الفاعل ليس إلا الله سبحانه وليس فاعلاً سواه لكن هذه الصفة ليست ذاتية له بل أوجدها بفعله وهي في رتبة فعله وهو الفاعل بفعله لا بذاته فالجمع بلا تفرقة زندقة والتفرقة بلا جمع تعطيل والجمع بينهما توحيد فاشرب صافياً لا تظمأ بعده أبدا.

ومن هنا تعرف إن كنت ذا فهم وقاد أن الظهور والبطون من الصفات الفعلية لأن الظاهرية والباطنية متقومتان بهما وهما من صفات الإمكان وإلا فهو سبحانه لا يتصف بهما في رتبة ذاته لكنه ظهر للخلق بهم وبطن بنفس ذلك الظهور فظهوره عين بطونه وبطونه عين ظهوره ومن هنا تعرف أيضاً معنى الحديث القدسي:كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف .

إنه في مقام فعله لأنه ما كان مخفياً ثم ظهر وإلا يلزم أن تختلف حالتاه ومختلف الأحوال حادث وملخص الكلام في هذا المقام أن الذات البحت البات لا يجوز أن تكون بذاتها فاعلاً وعلة للممكنات وذرات الكائنات لتقدس الحق وتنزهه عن هذه الصفات في رتبة الذات لعدم كونها من صفات الكمال في رتبتها فليست فاعلاً ولا مفعولاً وليست علة ولا معلولاً وليست صفة ولا موصوفاً وهذه الاعتبارات إنما هي حدود خلقه وصنعه ومسميات آثار قدرته ومشيئته فلا يجري عليه ما هو أجراه في بريته ولا يعود إليه ما هو أنشأه في خليقته قال مولانا الرضا عليه السلام:**كلما يجب في المخلوق يمتنع في الخالق وكلما يجب في الخالق يمتنع في المخلوق.**

فإذا عرفت هذا القدر من الكلام ظهر لك المرام من طي الكلام أن الذي

اشتهر بين الناس الذين في صدورهم الوسواس الخناس أن العلة الفاعلية هي الذات تعالى أو هي من الصفات التي في إثباتها كمال للذات في رتبتها فليس بصحيح بل هو الباطل والمجتث الزائل لأن الأدلة القطعية من العقلية والنقلية دلت على خلافه كما برهنا سابقاً وإنما رددت الإشارة وكررت العبارة لتفهيم من أراد الحق لأن المطلب عال جداً والله الموفق لكل خير.

الفصل الثالث

في بيان بطلان كون ذات الله تعالى علة غائية للموجودات

اعلم يا أخي هدانا الله وإياكم إلى الصواب لما ثبت عدم كون الذات علة فاعلية للموجودات لاستلزام ذلك النقائص المذكورة وغيرها في حقه تعالى ظهر وتبين عدم كونه علة غائية لها أيضاً لثبوت أنهما متحدتين في الحقيقة وإن اختلفتا في الاعتبار فكما لا يجوز كون الذات علة فاعلية للحادثات بذاتها كذلك لا يجوز أن يكون علة غائية لها بتلك الأدلة المذكورة من العقلية والنقلية سابقاً إذ لو جاز ذلك لجاز كونه غاية تنتهي إليه كل الأشياء وإنه تعالى مرجع ما في الأرض والسماء وإذا صح ذلك في حقه تعالى ثبت كونه مجانساً لها ومماثلاً لها وأنه من سنخها لثبوت عدم انتهاء الشيء إلى مغايره ومخالفه وعدم عوده إلى مباينه ومضاده بل يعود إلى جنسه وينتهي إلى شكله.انتهى المخلوق إلى مثله الطلب إلى شكله ، لظهور منع الغيرية عن وصول المغاير إليها وثبوت حجبها عن اتصال الآخر بها لأن الأشياء لا تتصل إلا بمناسبها في الذوات أو في الصفات أو بمساويها أو بمماثلها أو بمشاكلها فإذا كانت هذه الصفات متحققة الانتفاء بين الذات والحادثات فكيف تكون غاية لها وهي تستلزم الاتحاد بينها وبينه وهو باطل بالضرورة لاستلزامه الانقلاب في حق الواجب وهو من لوازم الحدوث. قال عليه السلام: **لم يسبق له حال حالا فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً**[1] .

---

(١) نهج البلاغة ٩٦.

وقال عليه السلام: **كلما يجب في المخلوق يمتنع في الخالق وكلما يجب في الخالق يمتنع في المخلوق** وأيضاً لو كانت الذات علة غائية للحادثات للزم أن تختلف حالتاه لأنه قبل إيجادها ما كان غاية لها لعدم وجودها وبعدما أوجدها صار غاية لها فاختلفت حالتاه ومختلف الأحوال حادث والحديث السابق يأباه.

وبالجملة فظهر لك بطلان القول بأن الحق علة غائية بكل معنى أما ما مر فظاهر وأما المعنى الآخر فلظهور أن الغائية ما لأجلها الفعل والإيجاد فهي لا توجد ولا تتحقق إلا بعد الفعل لأنه لأجل حصولها فلو كانت حاصلة لما احتيج إلى الفعل فعلى القول بكونه غاية بهذا المعنى يلزم تأخره تعالى عن أفعاله وهذا من البطلان بمكان لظهور عدم النفع في التقدم التصوري.

وأيضاً كونه غاية إما هو موجود قبل الإيجاد أو لا فإن كان الأول فيلزم تحصيل الحاصل وهو باطل بالضرورة بل هو محال لا سيما في حق القادر المتعال وإن كان الثاني فيلزم الاستكمال في حقه تعالى وهو كذلك باطل لأنه صفة الحادث الناقص المحتاج إلى الكمال فربما يتوهم بعض القاصرين من ظاهر بعض الآيات والروايات أن العلة الغائية للمكنات هو ذات الله تعالى قوله تعالى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[1] ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى﴾[2] .ومثل قوله عليه السلام: **يا غاية آمال العارفين**[3] وأمثال ذلك مما يوهم كونه تعالى غاية الأشياء فأحببت أن أبين أقسام هذا الوهم الكاسد والظن الفاسد بأن المراد من الرب في الآية الثانية هو اسم الله المربي لجميع الأشياء والمفيض على من

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٦.

(٢) سورة النجم آية ٤٢

(٣) دعاء كميل بن زياد.

في الأرض والسماء وليس المراد منه ذات الحق تعالى لثبوت تنزهه وتقدسه عن التربية لأنها معنى فعلي توجد بوجود المفاعيل وتفقد بفقدانها ولهذا يصح توصيف الذات بها وبعدمها تقول رباني بالحياة ولم يربني بالعلم وهذا مثل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والحاصل هذا الاسم الشريف ليس هو الذات البحت البات لصحة نفي التربية عنه تعالى والصفة الذاتية لا يجوزنفيها عن الذات لأن بانتفائها تنتفي هي ولأنها كمال للذات ونفيها نقص فيها كالعلم والقدرة والسمع وأمثالها فالغاية للأشياء هو المربي لها وهو هذا الاسم الأعظم المربي لكل شيء والمعطي لكل نور وفيء بالله سبحانه لثبوت تكرمه وتعاليه عن مباشرات الحادثات بذاته المقدسة لأن النسب والإضافات والاقترانات والاتصالات منقطعة بينه تعالى وبينها لانعدامها واضمحلالها عند سطوع نور جلاله لهذا **تجلى لها بها وبها امتنع منها**[1] .كما قاله سيد الموحدين عليه السلام.

والدليل على عدم كون هذا الاسم المربي للأنفاس هو الذات أو من أسمائها إضافته إلى كاف الخطاب لثبوت انقطاعها بين الذات وغيرها وكذلك الاسم المراد منه الذات لا يجوز إضافته إلى غيره لأن حكمه حينئذ حكمها ولظهور المناسبة الذاتية بين الألفاظ ومعانيها وقد أقمنا براهيناً عقلية ونقلية على هذا بحيث لا يكون فيها مجال للمقال ومن هنا تعرف معنى قوله تعالى﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾[2] يعني إلى مربيها،وبعبارة أخرى إلى علي عليه السلام لثبوت كونه هو المربي قال صلى الله عليه وآله وسلم :**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**[3]لأن الرب هو الذي يربي الناس وهو من التربية يقال

---

(١) البحار ج: ٤/ ٢٦١.

(٢) سورة القيامة آية ٢٢.

(٣) البحار ١٦/ ٣٦٤.

فلان رباني وفي الدعاء اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا ومحمد وعلي عليهما السلام هما المربيان للخلق وهما أبوا الخلق لأن كل نبي أب لأمته ونساؤه أمهاتهم والدليل على ذلك قوله تعالى حكاية عن نبيه لوط عليه السلام ﴿**هؤُلاءِ بَناتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾[1] يعني نساؤهم والمخلوقات كلها أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدليل على ذلك قوله تعالى﴿**تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً**﴾[2] والجمع المحلي يفيد العموم.قال صلى الله عليه وآله وسلم: **كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**[3] وعن أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام:**كنت ولياً وآدم بين الماءوالطين**[4] .

والحاصل فالرب يطلق على المربي وغيره حتى في محاورات العرب يقال رب البيت ورب الدار بدليل قول أحدهم: إن الشاه لتجتر فتسمع والله صوت ربها أي راعيها قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق على نبينا وآله وعليه السلام﴿**وَقالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**﴾ .فالمراد من الرب هنا ملك مصر.

وملخص الكلام في المقام أن علياً هو المربي للأنفاس في التشريع والتكوين لأنه الولي المطلق وآية الحق قال عليه السلام ما معناه وأي آية أراها الله الناس في الآفاق والأنفس أكبر مني[6] وبالجملة فإن شأن الولي المطلق تربية الخلق ولذا سمي رباً.

---

(١) سورة هود آية ٧٨.

(٢) سورة الفرقان آية ١.

(٣) شرح أصول الكافي ٧/ ١٦٥.

(٤) عوالي اللآلي ٤/ ١٢٤.

(٥) سورة يوسف آية ٤٢.

(٦) في بحار لأنوار ٢٥/ ٣٧٥ في حديث طويل إلى أن قال عليه السلام (سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ) فأي آية في الآفاق غيرنا أراها الله أهل الآفاق وقال (ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها) فأي آية أكبر منا.

فالمراد من الرب في الآية الشريفة ليس ذات الحق لتنزهه عن التربية فلا تحتاج إلى تقدير إضمار في الآية وورد عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ **يعني أنهم لو استقاموا على حب علي لكنا وضعنا أظلتهم في ماء الفرات وهو حب علي ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي في حب علي. ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ يعني عن ذكر علي الحديث.**

وورد عنه عليه السلام أيضاً في البصائر ومستطرفات السرائر في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[1] الآية. **قوم من شيعتنا خلف العرش يقال لهم الكروبيون لو قسم نور أحدهم على أهل الأرض لكفاهم ولما سأل موسى ربه أمر الله رجلاً منهم فتجلى للجبل بقدر سم الإبرة ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾**[2].

والمراد من هذا الحديث لما تجلى ذلك الرجل الذي هو من شيعة علي المخلوق من شعاع تسبيحه عليه السلام بقدر سم الإبرة اندك الجبل وصار حصصا فثلث هوى منه إلى الأرض وهو يهوي إلى الثرى حتى تقوم الساعة ومنه غذاء الشياطين وثلث منه صار ذرا وانبث في العالم ومنه غذاء الحيوانات التي تربت في الجو وثلث منه صار ذراً وانبث في البحار ومنه غذاء الحيتان فافهم.

فإذا ثبت إطلاق اسم الرب على رجل من شيعته المخلوقة من نور تسبيحه كما فسره الإمام عليه السلام ظهر المراد من الآية الشريفة أن الرب المنتهى إليه هو عليه السلام لأن البدء لهم والعود إليهم بدؤكم عودكم ﴿كَما بَدَأَكُمْ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٢) في كتاب السرائر ٣ / ٥٦٩ عن أبي عبدالله عليه السلام قال (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأل ربه ما سأل أمر رجلا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا.

تَعُودُونَ﴾[1] إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولنقبض العنان عن هذا الميدان فإن للحيطان آذان وللشيطان أعوان ونترجى الفرج آناً فآنا من ولي الرحمن.

وأما المراد من الآية الأولى فهو أن الواجب تعالى لما كان مجرداً عن كلما سواه ومنزهاً عن جيمع جهات الإمكان وما حواه فليس له اسم ولا صفة هناك لاستلزامها مفاسد كثيرة لو أثبتناها له هناك لزم منها المماثلة والمشابهة للحادثات الفانية من جهة الاقتران والنسبة والارتباط الذاتي والإضافة الواجبة حصولها بين الاسم ومسماه وبين الصفة وموصوفها وهما لا يحصلان إلا في الأشياء التي من سنخ واحد وحقيقة واحدة وكلها مستحيلة في حق الواجب القديم لاستلزامها حدوث القديم وقدم الحادث وهما باطلان بالضرورة فثبت عدم الاسم والصفة للذات قطعاً لأنهما لايحصلان إلابتجلياته وظهوراته وهما لها فظهوراته وتجلياته اسماءه وصفاته وآياته ومن هنا تعرف فساد ما قالوا من أن الله علم للذات الواجب المستجمع لجميع الصفات والكمالات لأن الذات البحت البات لا اسم لها ولا رسم كما قررنا سابقاً.

فالمسميات للأسماء إنما هي ظهورات الحق التي تجلى للخلق بها وهي مقامات المعرفة التي لا فرق بينها وبين الحق إلا أنها عباده وخلقه فتقها ورتقها بيده بدؤها منه وعودها إليه وقولي لا فرق بينها وبين الحق أريد في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات وإذا أردت معرفة ذلك فانظر إلى الصورة في المرآة فإن أمرها عجيب غريب إلا للأديب اللبيب لأنها أجلى آية لمعرفة المعارف الإلهية التي أراها الله الخلق في الآفاق كما قال عز من

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٩.

قائل ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] فإن الصورة في المرآة هي آية المقابل وصفته التي ظهر بها لغيره فإنك إذا لم تر زيداً في الخارج ورأيت صورته في المرآة حكمت بأنها صورة زيد بل تحكم بأنها هي زيد لأنك تقول إني رأيت زيداً وهذا زيد لأنها بهذه الملاحظة لا تحجب زيد لأنك لا تلاحظها من حيث هي بل من حيث هي ظهور زيد فصح لك أن تقول هذا زيد في التعريف والتعرف لا في الحقيقة والذات ولاخل ذلك قال الصادق عليه السلام **لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو فيها نحن إلا أنه هو هو ونحن نحن.**

وفي رواية أخرى: **لنا معه حالات فيها نحن هووهونحن وهوهو ونحن نحن.**

وقال مولانا القائم عجل الله فرجه ورزقنا توفيق طاعته في دعاء الرجبية: **اللهم إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك الدعاء.**

فتلك المقامات والآيات التي أشار إليها عليه السلام هي المسميات للأسماء ونسبتها إليه سبحانه نسبة الصورة المرآتية إلى المقابل فلفظ الجلالة إذا

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣.

(٢) دعاء الإمام صاحب الأمر عجل الله فرجه في كل يوم من شهر رجب.

أطلق وقع على الذات الظاهرة بالألوهية أعني الظهور الكلي المندرج تحته جميع الظهورات والجامع الحاوي لجميع التجليات كزيد فإن الزاي والياء والدال اسم لظهوره الكلي المندرج تحته سائر الظهورات والتجليات والأسامي الواقعة على الظهورات كالقائم والقاعد والآكل والشارب مثلاً فإن القائم اسم لظهور زيد بالقائمية التي هي مركبة من القيام وأثره الذي يترتب عليه القيام فالقائم حقيقة ليس ذات زيد من حيث ذاته وإلا لكان قائماً على كل حال في كل حال وما انفك عنه القيام في حال من الأحوال والأمر ليس كذلك لأنه يقعد ويأكل ويشرب فالقائم اسم لظهور زيد بالقيام الذي ألقى في هويته مثاله وأظهر عنه أفعاله والقائم صفته ولما كانت الذات مغيبة للصفات لأن الذات غيبت الصفات ولا يكون لها أثر الوجود عند ملاحظة الذات كان المقصود من الأسماء هي الذات.

فالمراد بالأسماء الإلهية والمقصود منها هو الذات لا غير لكنها ليست مسماة لهذه الأسامي بل المسميات هي الظهورات والتجليات الظاهرة للمظاهر والمجالي بالمظاهر والمجالي فلما ظهر بالألوهية سميناه إلهاً ولما ظهر بالقدرة سميناه قادراً ولما ظهر بالعلم سميناه عالما وبالخالقية والرازقية والرحمة والوحدة وما يضاهيها سميناه خالقاً ورازقاً ورحيماً وهكذا قال مولانا الباقر عليه السلام: **وهل سميناه عالما إلا لما وهب العلم للعلماء**[1] فصح أن الأسماء هي للظهورات لا للذات لثبوت عدم الاسم لها لكن المقصود من الأسماء عند الإطلاق هي الذات لا غير.

فإذا عرفت أن الذات ليس لها اسم ولا صفة بل هما لظهوراته كما قررنا سابقاً مكرراً وظهوره تعالى صفته ودليله فكما أنه تعالى مجرداً في غاية التجرد

---

(١) الرواشح السماوية ١٣٣.

ومنزهاً عن جميع صفات الإمكان وبسيطاً في أعلى مراتبها فكذلك صفته ودليل عنوانه يجب أن يكون مجرداً واحداً بسيطاً في أعلى مراتب التجريد والبساطة بحيث لا يكون فيه تعدد وكثرة واختلاف وكلية وجزئية وعموم وخصوص إلا بحسب المرايا والمظاهر يتصف بها وبغيرها من الأحوال فالظهور الكلي العام الجامع لجميع الصفات هو الألوهية المطلقة التي اندرجت فيها جميع الظهورات والتجليات والاسم الشريف المبارك موضوع بإزاء الظاهر بهذا الظهور الكلي الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بأنواعها من صفات القدس مثل قدوس وسبوح وعزيز وأمثالها ومن صفات الإضافة كالعالم والقادر والسميع وأمثالها ومن صفات الخلق كالخالق والرازق والمحيي والمميت وأمثالها هو هذا الاسم الشريف المبارك وهو الموضوع لذلك الظهور الكلي العام والتجلي الشامل التام وهو غاية الغايات ونهاية النهايات ومرجع الموجودات من الذوات وباب الفيوضات لعوالم المغيبات والشهودات وإليه مرجع الحاجات من جميع الحالات ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[1] ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ﴾[2].

وليس في عوالم الأسماء والصفات الألوهية المطلقة والبساطة المحضة فوق هذا المقام ولا وراء عبادان قرية فهذا المقام المشار إليه بهو والهاء منه إشارة إلى الوحدة الصرفة والتجرد المطلق ويثبت الثابت وبالواو منه إشارة إلى الغائب عن درك الحواس ولمس الناس والسلب والإيجاب والنفي والإثبات ليس في هذا المقام لثبوت تجرده عن الحدود والنسب والإضافات وتقدسه وتنزهه عن الروابط والتعينات ومن ثم تعرف معنى قوله عليه السلام: **يا**

---

(١) سورة الشورى آية ٥٣.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦

غاية آمال العارفين وأمثاله من الكلمات الموجودة في أدعيتهم عليهم السلام أن غاية آمالهم هو هذا المقام العظيم لا الذات البحت البات.

وبالجملة فإذا عرفت ما قررنا لك في بطلان القول بأنه تعالى هو العلة الفاعلية والغائية للموجودات يظهر ويتبين بطلان كونه تعالى العلة المادية والعلة الصورية بالطريق الأولى لأن الله سبحانه وتعالى ما أوجد الكائنات من ذاته وما صنع المصنوعات من مواد قديمة ليست بمخترعة ولا من صور أزلية ليست مبتدعة بل له الحمد والشكر اخترع موادها وحقائقها وصورها وهيئاتها اختراعاً وابتدعهم بفعله إبداعاً ولم يكن قبل اختراعها وإبداعها لها ذكر ولا وجود أبداً بوجه من الوجوه بل شاء إيجادها أوجد امكاناتها بمشيئته الإمكانية وأكوانها بالكونية وقبل ذلك لا مشيئة لها أبدا ولا تلتفت إلى خرافات الصوفية وبعض من حذا حذوهم من الحكماء كالصدر الشيرازي وصهره في مقالاتهم وتنزيلاتهم واستدلالاتهم الفاسدة من الكلمات الكاسدة في بيان إثبات مسألة وحدة الوجود التي يلزم منها كون الذات هذه العلل الأربع واستدلالاتهم على مطلوبهم الفاسد الباطل ومقصودهم الظاهل كفر ظاهر ويموهون الأمر على الناس الذين في قلوبهم الوسواس الخناس بإيراداتهم البراهين العاطلة والأدلة الباطلة على ثبوت مدعاهم وهي مجتثة زائلة. ﴿**كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللهُ سَرِيعُ الْحِسابِ**﴾[1].

ولقد هدم شيخنا قدس سره وشاع في العالمين ذكره وسيدنا المفضال حرسه الله من طوارق الأيام والليال بحق محمد والآل بنيانهم في هذا المجال في كتبهما ومباحثاتهما بكلمات شريفة وقواعد لطيفة مأخوذة من

---

(١) سورة النور آية ٣٩.

عيون صافية نقية ما سبقهما سابق ولا يلحقهما لاحق فكل من تكلم في هذا العنوان وخاض في هذا العباب فمن بحرهما غرف ومن بئرهما نزف فأحب أن أذكر لك من بعض كلماتهم وأشعارهم في محاوراتهم لتطلع على باطلهم حتى تعرف قدر هذين الرجلين المهدمين لأساس بنيانهم.

قال صاحب جامع الأسرار السيد حيدر علي الآملي في فيه ألف ألف حمل من التراب إن كان هذا اعتقاده وإلا فلا.

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة	وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه	ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وقال الآخر أيضاً في فيه ألف ألف حمل من الرمل إن كان معتقده ما يذكر:

كلما في عـوالـمي مـن جماد	ونبات وذات روح معاري
صــور لي أزلتها فــإذا ما	أزلتها لا زوال بطاري
وهي جوار لنا كالثوب إن تك	يوماً باحمرار وتارة باصفرار

وقال آخر فض الله فاه وأجهد بلاه وملأ بالنار حشاه:

أنــا ذلــك القدوس	في حجب العماء محجب
أنا ذلك الفرد الذي	فيه الكمال الأعجب
أنا قطب دائرة الرحى	وأنا العلا المستوعب
وبكل لحن طائري	في كل غصن يطرب

إلى أن قال لعنه الله: أنا الغافر والمذنب.

وقال آخر ملأ الله عليه قبره ناراً.

البحر بحر على ما كان في القدم	إن الحــوادث أمــواج وأنهــار
لا يحجبنك أشـكـال تشكلها	عمن تشكل فيها فهي أستار

وقال آخر:

الباقي باق لم يزل		والفان فان لم يزل
أنا باق من غير أنا		أنا فان من حيث أنا

قال مميت الدين ابن العربي البوال على عقبيه لعنه الله ورسوله في ديباجة بعض مصنفاته: الحمد لله الذي أظهر الأشياء وهو عينها بلا إشكال إلى آخر كلامه الفاسد الكاسد.

وقال أيضاً في بعض أبيات له:

ما لمجنون عامر بهواه		غير شكوى العباد والاغتراب
وأنا ضده فإن حبيبي في فؤادي		ولم أزل في اقتراب
فحبيبي مني وفي وعندي		فلماذا أقول ما بي وما بي

وقال في كتابه المسمى بالفصوص:

فأنا أعبد حقاً		وإن الله مولانا
وأنا عينه فاعلم		إذا ما قيل انسانا
فلا تحجب بإنسان		فقد أعطاك برهانا
فكن حقاً وكن خلقا		تكن بالله رحمانا
فأعطانا بما يبدو		به فينا وأعطانا
فلولاه ولولانا		لما كان الذي كانا
فصار الأمر مقسوماً		بإياه وإيانا

إلى آخر كلامه عليه لعائن الله تترى:

وقال آخر:

لقد كنت قبل اليوم منكر صاحبي		إذ لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابل كل صورة		فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف		وألواح تورات وأوراق قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت		ركائبه أرسلت ديني وإيماني

ونقل عن البصطامي أنه كان دائماً يقول:سبحاني سبحاني ما أعظم شأني.

ونقل أنه لما قيل له ما في جبتك يا شيخ قال: ما في جبتي غير الله.

ونقل عن أحدهم أنه كان يقول أنا الله بلا أنا يعني بلا هذه الحدود والتعينات التي شخصتني وأمثال ذلك من مقالاتهم شعراً ونثراً وهي لا تكاد تحصى.

والحاصل أن اعتقاد أكثرهم أن الحق هو الذي يتشكل بالأشكال فيظهر بما شاء من الصور ولذلك رئيسهم ابن العربي أراد الحق أن يعبد في كل صورة ويزعمون أن هذه الصور براقع جماله ومظاهر جلاله فإذا ارتفع النقاب وزال الحجاب من البين لم يبق إلا الحق بلا رين فالصور هي الإمكانات عندهم فإذا ارتفع الإمكان بقي وحده تعالى ربنا عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولهذا قال أحدهم في هذا المعنى عامله الله بعدله:

توهمت قدماً أن ليلى تبرقعت وأن حجاباً دونها يمنع اللثما

فلاحت فلا والله ما كان حجبها ولكن طرفي كان من حسنها أعمى

ولست أدري ما يزعمونه هؤلاء الملحدون لو كان الحق هو الذي يظهر بذاته المقدسة في أي صورة شاء وأن الممكنات تعيناته وحدوده التي تشخص بها للزم أن يكون القديم حادثاً لاقترانه بالحوادث الفانية بالاجتماع والاتصال والافتراق والحركة والسكون مع أنه قد اتفقت كلمة العقلاء على أن الأكوان الأربعة من لوازم الحدوث فعلى هذا لا محيص لهم إلا أن يختاروا أحد أمرين إما أن يقولوا أن الأشياء كلها حادثة وليس في الوجود قديم أبداً أو أن الأشياء كلها قديمة وليس في الوجود شيء حادث وكلاهما باطلان قطعاً والقابل بهما كافر.

وأما بطلان القول الأول فلائح بين لثبوت احتياج الحوادث إلى من يسد فقرها بغناه ويمدها بما فيه بقاؤها لأنها أثر وضع واحتياجها إلى المؤثر والصانع لائح واضح إذ لا وجود للأثر بدون مؤثره والمصنوع بدون صانعه والذي يسد فقرها ويمدها يجب أن يكون واجباً غنياً وإلا لزم الدور والتسلسل ولظهوراحتياجها إلى موجد يوجدها من لاشيء وهي لم توجد أنفسها ولا أوجدها من هو مثلها والذي أوجدها لا من شيء يجب أن يكون قديماً.

وأما بطلان القول الثاني فظاهر جداً للزومه تعدد القدماء وبطلان تعددها متفق عليه عند جميع الملل مع أن أدلة التوحيد صريحة في بطلانه وظاهرة في منعه ورده فثبت بطلان القولين المجتثين بعون الله وتوفيقه وظهر فساد ما ذهبوا إليه من أن الموجودات تعينات الواجب وهي حجب ذاته المقدسة فإذا ارتفعت الحجب من البين لم يبق إلا الحق في البين والمذهب الحق المأخوذ عن أهل الحق سلام الله عليهم الذي لا يعتريه ريب ولا يطري عليه عيب هو أن الله سبحانه لا يعرف من سنخ ذاته العليا وليس للكائنات سبيل إلى معرفته بوجه من الوجوه وليس بينها وبينه حجاب غيرها كما قال عليه السلام: **خلق الله الخلق حجابا بينه وبينهم)**[1] .

يعني ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه فإذا ارتفع الحجاب من البين لا ترى إلا تلك المقامات التي هي أنموذج الفهواني الذي لا يعرف الله إلا به وهذه المعرفة معرفة الله وهي المثال الملقي في هوية الخلق الذي ظهر به الحق للخلق قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين لما سئل عن العالم العلوي قال: **صور**

---

(١) البحار ٤ / ٢٢٨ .

عالية عن المواد، خالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت،وطالعها فتلألأت، فألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله)[1] وذلك المثال هو قوله تعالى في الحديث القدسي **يا ابن آدم اعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك الفنا وباطنك أنا،** فقوله أنا هو ذلك المثال وليس هو ذاته عز وجل كما تدعيه الطائفة المخذولة الصوفية كما ظهر من كلماتهم وأشعارهم قبحهم الله لأن الله سبحانه قال في محكم كتابه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] ولم يقل عز وجل ذاتنا وقد بينا بالأدلة العقلية القطعية إن المتكلم إنما يكون متكلما في رتبة الكلام والذات التي ظهرت بالتكلم إنما هي في رتبة الكلام وقد حققت هذه المسألة الشريفة في رسالتنا المسماة بمفاتيح الأنوار في بيان معرفة الأسرار إن أردتها فاطلبها هناك.

وبالجملة فهذا المثال هو حقيقة النفس التي هي عين معرفة الرب متى تحصل هذه المعرفة تحصل بعد قطع النظر ملاحظة وجودها وذلك لا يحصل إلا بعد تجردها الجلال التي هي الحجب المانعة عن مشاهدتها وتلك الحجب هي تعيناتها بالإضافات التي تورث الأغيار لأن إضافاتها إليها موجبة لحرمانها عن مشاهدة تلك الأنوار كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الديار ومن ثم قيل أن الأغيار توجب الأكدار فاكشف النقاب واخرق الحجاب وادخل القرية على حين غفلة من أهلها حتى تشاهد هناك رب الأرباب وعنصر الأطياب بعين مشاهدته لك بك في كل باب وتفوز بالنصيب من المعلى والرقيب.

والحجب التي يجب إزالتها ثمانية إن كشفتها وصلت إلى فناء الحبيب

---

(١) البحار ٤ / ٥١٦.

(٢) سورة فصلت آية ٥٣.

حجاب اللؤلؤ الأبيض وحجاب العقيق الأصفر وحجاب الزبرجد الأخضر وحجاب الياقوت الأحمر وحجاب الظل وحجاب الذر وحجاب الأشباح وحجاب الكثيف وبعبارة أخرى حجاب العقل وهو الكون الجوهري وحجاب الرقائق أعني الروح وحجاب النفس وحجاب الطبيعة وحجاب المادة وحجاب المثال وحجاب الجسم وحجاب الأعراض والألوان فأحسنها هذا الحجاب وإزالة تلك الحجب السبعة صعبة جداً إذ لا يوفق لهذا أحد إلا بتوفيق خاص من خالق الناس فيرتفع عنه وسواس الخناس مع ملازمته على المجاهدات النفسانية والرياضات الشرعية الواردة عن ألسنة حفظة الشريعة سلام الله عليهم لا كما زعمته الصوفية لعنهم الله من الأغاليط الفاسدة.

لكن بعد كشفها وإزالتها يشاهد هناك جمال محبوبه ويشرق عليه من نوره ويذهل عن نفسه وينساها لاتصاله بفناء محبوبه وهذا يحصل له إذا قطع النظر عن كونه محباً مع محبوبه لأن المحبة لا تلاحظ هناك قال الإمام عليه السلام: **المحبة حجاب المحب بينه وبين المحبوب.**

فإذا وصل المسافر إلى تلك الديار ووفق السالك في ذلك المقام فقد بلغ مقام المعرفة التي خلق لأجلها فيعرف الله هناك به لأنه سبحانه أجل من أن يعرف بخلقه بل هم يعرفون به قال سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام **بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدر ما أنت.**

وقال سيد الموحدين علي عليه السلام **يا من دل على ذاته بذاته.**

وقال سيد الشهداء روحي له الفداء عليه السلام **إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون**

هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً.

وهذه المعرفة ما تحصل إلا لمن سلك سبيل آل محمد عليهم السلام ونهج منهجهم وأخذ عنهم وأعرض عمن سواهم في كل باب حتى المبدأ والمآب قال عليه السلام: **ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعضا وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**[1].

ونعم ماقيل:

إذا شئت أن تختر لنفسك مذهباً ... ينجيك يوم الحشر من لهب النار

إلى أن قال:

فدع عنك قول الشافعي ومالك ... وأحمد والمروي عن كعب أحبار

ووال أناسا قيلهم وحديثهم ... روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

وكل يدعي (ياأخي) وصلا بليلي ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

إذا انبجست دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكا

ويا أخي إذا أزال الله عنك الأغيار الموجبة للأكدار ووصلت إلى ذلك قل هناك: **إلهي أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا إلى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت هديتهم حتى استبانت لهم المعالم**[2].

---

(١) في الكافي في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال (ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع).

(٢) بحار الأنوار ٩٥/ ٢٢٦.

فإذا حصل لك الذهول عن نفسك بالمرة أزلت الإنية وهتكت الستر ووصلت إلى مقام لا عين رأت ولا أذن سمعت فنطوي عنان القلم عن هذا الميدان ولا نتكلم أكثر في هذا العنوان خوفاً من فرعون وملئه أن يفتنهم آه آه.

وفي النفس لبانات إذا ضيق لها صدري
نكت الأرض بالكف وأبديت لها سري
فمهما تنبت الأرض فذاك النبت من بذري

وذلك المقام المتناول اجتماع المحب مع محبوبه فيه هو ظهور الرب للعبد بالعبد لا عين ذات الرب ونعم ما قيل:

إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطعها فمن لطفها
أعارته طرفاً رآها به وكان البصير بها طرفها

فالمحبوب حقيقة ظهور الحق لا ذات الحق وظهوره للخلق لا يكون إلا بهم وغير هذا محال كما هو ظاهر عند أهل الكمال وإنما كررت العبارة ورددت الإشارة لئلا تتوهم من قولي ما قالته الصوفية لعنهم الله.

نارنا هذه تضيء لمن يسرى بليل ولاتنيل
منتهى الحظ ما تزود منها اللحظ والمدركون ذاك قليل
جاءهامن عرفت يبغي اقتباسا وله البسط والمنى والسؤول
فتعالت عن المنال وعزت عن دنو إليه وهو رسول

سبحان من لا تدركه الأبصار ولا تحوم حوله خواطر الأفكار فهذا الذي ذكرته مجمل القول في بيان معرفة النفس التي هي عين معرفة الرب لأن ذكرها اتفق استطراداً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الفصل الرابع

في بيان حصر العلة الفاعلية والمادية في

محمد وآلة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين ما يعبد الحق باليقين

اعلم يا أخي هداك الله إلى هداية الطريق وأطعمك من رحيق التحقيق وأخرجك عن المضيق. لما تحقق مما قررناه سابقا أن الذات الواجب سبحانه لا يجوز أن تكون أحد هذه العلل لمنافاة العلية مقام الأزل تعالى كما عرفت شيئاً من ذلك وعرفت أن العلل رتبتها الحدوث والإمكان لا مقام الرحمن عز وجل لأن ساحة عزه أرفع من أن تنالها هذه الصفات وجلال قدسه أجل من هذه الاعتبارات بل هو موجد الأنوار والمنيرات والصفات والموصوفات والمبدع للعلل والمعلولات فلا يجري عليه ما هو أجراه ولا يعود إليه ما هو أنشأه: **اعتصام الورى بمغفرتك عجز الواصفون عن صفتك. تب علينا فإننا بشر ما عرفناك حق معرفتك بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئأتك يا سيدي فشبهوك واتخذوا آياتك أرباباً إلهي فمن ثم لم يعرفوك وأنا بريء من الذين بالتشبيه قصدوك. الدعاء.**

فلا بد أن أبسط الكلام في هذا المقام وأثبت فيه أن العلة الفاعلية والمادية للموجودات محمد وآله الهداة عليهم من الله الصلوات ما ذكر اسمهم في الجنات بأدلة واضحة قاطعة عقلية ونقلية. فأقول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يعرف نفسه كما في الحديث القدسي: **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف.**

أوجد فعله بنفسه ثم أوجد الأشياء بفعله كما في الحديث المروي عن لسان الله الناطق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: **خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة**[1] والفعل هو المشيئة وهي هو وقال عليه السلام: **علة ما صنع صنعه وهو لا علة له وصنعه فعله وفعله صنعه.**

فإذا عرفت هذا فاعلم أن أول ما تعلق به الجعل أولاً وبالذات هو أشرف الموجودات وعلة الكائنات أما كونه أشرفها فلثبوت تعلق جعله سبحانه في مبدأ الإيجاد بالأشرف وعدم عدوله تعالى عنه إلى غيره لاستلزام ذلك الترجيح بلا مرجح وهو محال في حق الحكيم الذي أتقن صنع كل شيء فكيف يفعل ذلك وهو عاتب أولياءه بتركهم ذلك وأما أنه علتها فلأنه محل ومظهر لجعله لأنه غيب فلا بد من إيجاد مظهر له به ليظهر فيه فإطلاق العلة عليه مجاز لعلاقة الحال والمحل وهي من أعظمها لأنه محل صدور الخلق عن الفعل والعلة الحقيقية هو الفعل ولكن ما يوجد شيء بالفعل إلا بواسطته لبطلان الطفرة عند جميع العقلاء.

فإذا عرفت هذا القدر من الكلام في هذا المقام فاستمع لما يوحى إليك من الخطاب في هذا المرام وهو أن أهل الإسلام اتفقت كلمتهم واجتمع رأيهم على أن محمدا وآله عليهم من الله السلام أول ما خلق الله وسائر المخلوقات إنما خلقوا من بعدهم بألوف من الدهور وغيرهم عليهم السلام لم يوجد إلا بواسطتهم لئلا تلزم الطفرة التي أجمع العقلاء على بطلانها وقد تواترت الأخبار في هذا المعنى عن صفوة الأطهار عليهم سلام الله في الأدوار والأكوار وكلها ناصة على أن جميع ما في الوجود من الغيب والشهود إنما وجد بهم وبواسطتهم كما في الزيارة الجامعة الكبيرة **بكم فتح الله وبكم يختم**

---

(١) البحار ٤ / ٥١٤.

وبكم ينزل الغيث، وفي زيارة الحسين عليه السلام على ما رواه المجلسي في تحفة الزائر: **بكم يبين الله الكذب وبكم يباعد الله الزمان الكلب، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن طلب، وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأشجار أثمارها، من أراد الله بدء بكم، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادر عما فصل من أحكام العباد.**

ومصدر المضاف وجمع المضاف والمفرد المحلي كل منها يفيد العموم الإستغراقي باتفاق الأصوليين وفي قنوت سيد الشهداء روحي له الفداء بيان هذا المعنى بأوضح بيان كما رواه ابن طاووس رحمه الله في مهج الدعوات وهو قوله عليه السلام: **إلهي أنت الذي جعلت قلوب أوليائك مسكنا لمشيتك ومكمناً لإرادتك وجعلت قلوبهم مناصب أوامرك ونواهيك فأنت إذا شئت ما تشاء حركت من أسرارهم كوامن ما أبطنت فيهم**[1].

وفي آخر الدعاء الذي يقرأ عند الشروع في صلاة الليل: **اللهم ارحمنى بهم ولا تعذبني بهم واهدني بهم ولا تضلني بهم وارزقني بهم ولا تحرمني بهم واقض لي بهم حوائجي في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير**[2].

وفي دعاء العشاء في شهر رمضان: **اللهم سد به خلتنا ويسر به عسرنا وبيض به وجوهنا وفك به أسرنا وأنجح به طلبتنا واقض به حوائجنا**.

والحاصل أن الأدعية والزيارات مشحونة بأن محمداً وآله هم الواسطة وأنه سبحانه يفعل بهم.

وأما كونهم عليهم السلام علة مادية فلأن كل ما في الكون من أشعة أنوارهم

---

(١) مهج الدعوات ٤٨.

(٢) الفقيه ١ / ٤٨٣

ومظاهر أسرارهم ومن عكوسات أظلالهم وأنوارهم ومن مبدأ أصوات خطاباتهم في تسبيحاتهم. فمواد الأشياء الداخلة في حيز الإمكان والأكوان من أشعتهم المنفصلة من أنوارهم والأخبار الواردة بهذا المعنى كثيرة جداً أحب أن أذكر بعضاً منها تيمناً وتبركاً.

منها ما ذكره ملا أحمد بن ملا محسن الكاشاني في الينبوع ناقلاً له عن الرياض عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لمن سأله: **يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتدء من خلق خلقه أن خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته. فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نسبح الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بدا لله تعالى عز وجل أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ووصيه به أيدته ونصرته ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك ثم خلق الله السموات فكتب على أطرافها مثل ذلك ثم خلق الجنة والنار فكتب عليها مثل ذلك ثم خلق الملائكة وأسكنهم السماء ثم تراءى لهم الله تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ولعلي عليه السلام بالولاية فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا فرضي عنهم بعدما أقروا بذلك وأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصهم لنفسه واختارهم**

لعبادته، ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقدسونه، ثم إن الله عز وجل خلق الهواء فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين وصيه به أيدته ونصرته، ثم خلق الله الجن وأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة ولعلي عليه السلام بالولاية فأقر منهم بذلك من أقر وجحد منهم من جحد، فأول من جحد إبليس لعنه الله فختم له بالشقاوة وما صار إليه، ثم أمر الله تعالى عز وجل أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا ولولا ذلك ما دروا كيف يسبحون الله، ثم خلق الله الأرض فكتب على أطرافها لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين وصيه به أيدته ونصرته، فبذلك يا جابر قامت السموات بغير عمد وثبتت الأرض، ثم خلق الله تعالى آدم من أديم الأرض فسواه ونفخ فيه من روحه ثم أخرج ذريته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد ﷺ بالنبوة ولعلي عليه السلام بالولاية أقر منهم من أقر وجحد منهم من جحد فكنا أول من أقر بذلك، ثم قال لمحمد ﷺ وعزتي وجلالي وعلو شأني لولاك ولولا علي وعترتكما الهادون المهديون الراشدون ما خلقت الجنة والنار ولا المكان ولا الأرض ولا السماء ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني، يا محمد أنت خليلي وحبيبي وصفيي وخيرتي من خلقي أحب الخلق إليّ وأول من ابتدأت إخراجه من خلقي ثم من بعدك الصديق علي أمير المؤمنين وصيك به أيدتك ونصرتك وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي ومنار الهدى ثم هؤلاء الهداة المهتدون، من أجلكم ابتدأت خلق ما

خلقت وأنتم خيار خلقي فيما بيني وبين خلقي، خلقتكم من نور عظمتي واحتجبت بكم عمن سواكم من خلقي وجعلتكم أستقبل بكم وأسأل بكم، فكل شيء هالك إلا وجهي وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون ولا يبيد ولا يهلك من تولاكم ومن استقبلني بغيركم فقد ضل وهوى)[1] **.الحديث.**

ومنها ما روي عنه ﷺ في الصحيح أنه قال ﷺ: **أول ما خلق الله نوري ثم فتق منه نور علي فلم نزل نتردد في النور حتى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة ثم خلق الخلائق من نورنا فنحن صنائع الله والخلق من بعد صنائع لنا .**

ومنها ما رواه جابر بن عبدالله في تفسير قوله تعالى﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] عنه ﷺ أنه قال ﷺ: **أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي** عليه السلام **فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري ونوري مشتق من نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن الشافعون ونحن كلمة الله ونحن خاصة الله ونحن أحباء الله ونحن وجه ونحن جنب الله ونحن يمين الله ونحن أمناء الله ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل وفي أبياتنا هبط جبرئيل ونحن مختلف أمر الله ونحن منتهى غيب الله ونحن محال قدس الله ونحن مصابيح الحكمة ونحن مفاتيح**

---

(١)بحار الأنوار ٢٥/ ١٧- ١٩.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.

الرحمة ونحن ينابيع النعمة ونحن شرف الأمة ونحن سادة الأئمة ونحن نواميس العصر وأحبار الدهر ونحن سادة العباد ونحن ساسة البلاد ونحن الكفاة والولاة ونحن الولاة والحماة والسقاة والرعاة وطريق النجاة وعين الحياة ونحن السبيل والسلسبيل ونحن النهج القويم والطريق المستقيم من آمن بنا آمن بالله ومن رد علينا رد على الله ومن شك فينا شك في الله ومن عرفنا عرف الله ومن تولى عنا تولى عن الله ومن أطاعنا أطاع الله ونحن الوسيلة إلى الله والوصلة إلى رضوان الله، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوة والولاية والإمامة ، ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة، ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجى وتمت البشرى)[1] .

ومنها رواية ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: **يا ابن مسعود اعلم أن الله خلقني وعلياً من نور قدرته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السموات والأرضين وأنا والله أجل من السموات والأرضين، وفتق نور علي بن أبي طالب عليه السلام فخلق منه العرش والكرسي وعلي بن أبي طالب عليه السلام والله أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم والحسن والله أفضل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور العين والحسين والله أفضل من الجنان والحور العين، ثم أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة فتكلم الله جل جلاله كلمة فخلق منها روحاً ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة نوراً فأضاف النور إلى تلك الروح وأقامها مقام العرش فزهرت المشارق والمغارب فهي فاطمة**

---

(١) بحار الأنوار ٢٥/ ٢٢- ٢٣.

الزهراء، ولذلك سميت الزهراء لأن نورها زهرت به السموات، يا بن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله لي ولعلي أدخلا الجنة من شئتما وأدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾فالكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد بولاية علي بن أبي طالب والجنة لشيعته ولمحبيه). انتهى .

انظر كيف صرح ﷺ بأن الأشياء إنما خلقوا بواسطتهم وأنهم من أشعة أنوارهم ضرورة وإن ذواتهم ليست مادة للأشياء فمعنى الفتق لا يصح إلا في كون الخلق شعاع لهم وهذا ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وروى صاحب العوالم عن ابن عباس أنه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، قال عليه السلام لأنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء**[(٢)] .

فانظر في قوله عليه السلام **وخلقت شيعتنا من شعاع نورنا** فإنه صريح في المطلوب.

وعن ابن عباس قال: **كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما رآه النبي ﷺ تبسم في وجهه وقال مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام ،فقلت: يارسول الله أكان الابن قبل الأب، قال: نعم إن الله تعالى خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة خلق نورا فقسمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق عليا عليه السلام من النصف الآخر قبل الأشياء كلها ثم خلق الأشياء فكانت مظلمة فنورها من نوري ونور علي**

---

(١)بحار الأنوار ٤٠/ ٤٣.
(٢)بحار الأنوار ٢٥/ ٢١.

عليه السلام ثم جعلنا عن يمين العرش ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة وكبرنا فكبرت الملائكة فكان ذلك من تعليمي وتعليم علي عليه السلام)[1] .

ومن ذلك ما رواه محمد بن علي بن بابويه مرفوعاً إلى عبد الله بن مبارك عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قال: **إن الله خلق نوري قبل خلق المخلوقات كلها بأربعمائة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة وخلق معه اثنى عشر حجاباً وهي الأئمة عليهم السلام فهم الكلمة التي تكلم بها الله ثم بدأ منها سائر الكلم والنعم التي أفاضها الله وأفاض منها سائر النعم والأمة التي أخرجها الله وأخرج منها سائر الأمم لسانه المعبر عنه ويده المبسوطة بالفضل والكرم) الحديث.**

و رواية أنس بن مالك[2] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صريحة في المدعي مثل رواية ابن مسعود والروايات بهذا المعني مستفيضة لكن اكتفينا بذكر

(١)بحار الأنوار ٢٥/ ١٢.

(٢)في بحارالأنوار ٣٧/ ٨٢عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت له يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا قوله تعالى فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً فقال صلى الله عليه وآله أما النبيون فأنا و أما الصديقون فأخي علي و أما الشهداء فعمي حمزة و أما الصالحون فابنتي فاطمة و أولادها الحسن و الحسين قال و كان العباس حاضرا فوثب و جلس بين يدي رسول الله ص و قال أ لسنا أنا وأنت و علي و فاطمة و الحسن و الحسين من نبعة واحدة قال و ما ذاك يا عم قال لأنك تعرف بعلي و فاطمة و الحسن و الحسين دوننا قال فتبسم النبي و قال أما قولك يا عم أ لسنا من نبعة واحدة فصدقت و لكن يا عم إن الله خلقني و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية و لا أرض مدحية و لا ظلمة و لا نور و لا شمس و لا قمر و لا جنة و لا نار فقال العباس و كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله فقال يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا ثم مزج النور بالروح فخلقني و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري و نوري من نور الله و نوري أفضل من العرش ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور أخي علي و نور علي من نور الله و علي أفضل من الملائكة ثم فتق نور ابنتي فاطمة فخلق منه السماوات و الأرض فالسماوات و الأرض من نور ابنتي فاطمة و نور ابنتي فاطمة من نور الله تعالى و ابنتي فاطمة أفضل من السماوات و الأرض ثم فتق نور ولدي الحسن و خلق منه الشمس و القمر فالشمس و القمر من نور ولدي الحسن و نور ولدي الحسن من نور الله و الحسن أفضل من الشمس و القمر ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة و الحور العين

بعضها حذراً من التطويل.

وبالجملة فكون محمد وآله عليهم السلام هم الواسطة في الصدوروالورود وأنهم باب الله الذى لا يؤتى إلا منه كما في زيارة الجامعة الكبيرة:**من أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم** قد ملأ الأصقاع وخرق الأسماع حتى العامة يقرون بذلك فضلاً عن الخاصة أما سمعت قول عمرو بن العاص في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

هو النبأ العظيم وفلك نوح   وباب الله وانقطع الخطاب

وقول بعض العارفين:

وراحتاالدهرمن فضفاض جودهم   مملوءتان وما للفيض تعطيل

وقول آخر:

حري بتقسيم الفيوض ومن سوى   أبي الحسنين الأحسنين به أحرى

وقال الآخر:

يا جوهرا قام الوجود به   الناس بعدك كلهم عرض

فحيث ثبت كونهم عليهم السلام هم الواسطة كماعرفت وأنهم الباب الأعظم صح إطلاق العلة الفاعلية عليهم صلوات الله عليهم مجازا لعلاقة الحال والمحل لكونهم محل صدور الخلق عن الفعل كما عرفت أنهم محال أفعاله

فالجنة و الحور العين من نور ولدي الحسين و نور ولدي الحسين من نور الله فولدي الحسين أفضل من الجنة و الحور العين ثم أمر الله الظلمات أن تمر على سحائب النظر فأظلمت السماوات على الملائكة فضجت الملائكة بالتقديس و التسبيح و قالت إلهنا و سيدنا منذ خلقتنا و عرفتنا هذه الأشباح لم نر بأسا فبحق هذه الأشباح إلا ما كشفت عنا هذه الظلمة فأخرج الله من نور ابنتي فاطمة قناديل فعلقها في بطنان العرش فأزهرت السماوات و الأرض ثم أشرقت بنورها فلأجل ذلك سميت الزهراء فقالت الملائكة إلهنا و سيدنا لمن هذا النور الزاهر الذي قد أشرقت به السماوات و الأرض فأوحى الله إليها هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة ابنة حبيبي و زوجة وليي و أخي نبيي و أبو حججي على عبادي في بلادي أشهدكم ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم و تقديسكم لهذه المرأة و شيعتها و محبيها إلى يوم القيامة قال فلما سمع العباس من رسول الله ص ذلك وثب و قبل بين عيني علي و قال و الله يا علي أنت الحجة البالغة ل مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

ومهبط فيوضاته وتراجمة وحيه فاعتبار كونهم عليهم السلام محلاً للصفات الفعلية تطلق عليهم الصفات الفعلية وباعتبار كون الأشياء خلقت من أشعتهم وأشعة أشعتهم ومن عكوسات أظلالهم وأظلال أظلالهم تطلق عليهم العلة المادية وفي الحديث القدسي جواز إطلاق صفات الفعلية عليهم السلام وهو قوله تعالى:**ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن** والعبد المؤمن إذا أطلق انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانصراف المطلق إلى أكمل أفراده ومعنى وسعني قلب عبدي المؤمن أنه من وسع صفاته الفعلية لأن الحقيقة إذا تعذرت تحمل على أقرب المجازات فإن الله سبحانه لا يسعه شيء ليكون مظروفاً ولا يدخله شيء ليكون ظرفاً ولاعلى شيء ليكون محمولاً ولا فوق شيء ولاتحت شيء ولا أمام شيء ولا خلف شيء ولامن شيء ولا عن شيء ولا لشيء ولا يقترن بشيء ولا يفترق عن شيء ولا يتصل بشىء ولاينفصل عن شيء ولا يضاده شيء ولايعانده شيء ولايفوته شيء ولايماثله شيء ولايعادله شيء ولايشاكله شيء ولايجانسه شيء تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً لأنه﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

فإذا عرفت هذا القدر فاعلم أن إطلاق لفظ الخالق جائز على غير الله لثبوت كونه من الصفات الفعلية كما برهنت عليه سابقاً. والله سبحانه وتعالى أفصح عن هذا المعنى في قوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2] ﴿وتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ وما أشبه ذلك من الآيات، وسئل مولانا الرضا عليه السلام على ما نقله في الصافي عن التوحيد:**هل غير الخالق الجليل خالق قال: إن الله تبارك**

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١٤.

(٣) سورة العنكبوت آية ١٧.

وتعالى يقول ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾فقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى صلى الله عليه خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائرا بإذن الله والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار)[1] **الحديث.**

وفي قرب الإسناد للحميري بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أن قال: قال أبو جعفر عليه السلام في النطفة: **فإذا تمت الأربعة الأشهر بعث الله تبارك وتعالى لها ملكين خلاقين يصورانه ويكتبان رزقه وأجله و شقيا أو سعيداً)**[2] **.**

وفي الكافي في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إلى أن قال: **ثم يبعث الله تعالى ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح وجميع ما في البطن بإذن الله)**[3] **. الحديث.**

وفي بعض: إن لله ملكين خلاقين يقتحمان المرأة من فمها ويتلقيان النطفة ويقولان: إلهنا خلق أم لا فيأتيهما النداء من الله بأنه خلق فيصلحان النطفة بحفظها عن الرطوبات الغريبة ويرددانها إلى أن تصير علقة ومنها إلى مضغة وهكذا إلى أن يخرج إلى الدنيا الحديث نقلته بالمعنى.

والروايات الواردة كثيرة في هذا الباب لأن تدبير العالم كله بالملائكة منها مدبرات ومنها مقسمات ومنها ذاريات وإنكار هذا الإطلاق مصادمة

---

(١) التوحيد ٦٠ .
(٢) قرب الإسناد ١٥٤.
(٣) الكافي ٦ / ١٣.

للضروري ومزاحمة للبديهي لكن ليس من باب الحقيقة لأنه خلاف ضرورة الدين فإن الخالق ليس إلا الله إذ لا مؤثر في الوجود سواه وإن كان لغيره تأثير بإمداده إياه لأن غيرية الغير بإمداده موجودة ولو انقطع عنه الفيض لحظة لفنا هو وتأثيره.

والحاصل صح هذا الإطلاق على غير الله لكونهم محال مشيئته وإرادته حيث أنه سبحانه وتعالى أجرى أفعاله على أيدي أوليائه لما اقتضت الحكمة بأن يجري الأشياء بأسبابها كما قالوا عليهم السلام: **أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها**[1].

وهذا لا ينافي قدرته لأنه سبحانه وتعالى لو أراد أن يجري الأشياء بدون أسبابها لفعل ومن يمنعه من ذلك مانع لا راد لقضائه ولا مانع لحكمه لأنه على كل شيء قدير، كما خلق أبينا آدم عليه السلام من غير أب وأم وعيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام من غير أب كما أوجد فعله بنفسه من دون سبب غير نفسه.

والمنكر بأن العالم ليس عالم الأسباب وأن الله يفعل من دون وساطة الأسباب يقول بما لا يشعر به لأن قوله يستلزم محذورين:-

أحدهما: نفي الحكمة عن الله تعالى لأن أموره على هذا القول تكون غير متقنة لجريانها على مقتضى القدرة.

وثانيهما: عدم حصول معرفته بآثاره الظاهرة لنا بنا بوجه من الوجوه لثبوت عدم إدراكه بكنهه لمسدة الطريق إليه وهذا في الحقيقة مكذب بقوله تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[2] وبقوله في الحديث القدسي: **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي**

---

(١) في الكافي ١ / ١٨٣ عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيء سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما وجعل لكل علم بابا ناطقا عرفه من عرفه وجهله من جهله ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن.

(٢) سورة فصلت آية: ٥٣.

أعرف، وبقول رسول الله ﷺ: **أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**[1] وغير ذلك من الأحاديث المستفيضة في هذا الشأن، وأيضاً قوله تعالى ﴿**وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[2] والعبادة فرع المعرفة ولو لم يعرفوه لما عبدوه، وإذا لم تكن آثاره جارية على مقتضى الحكمة يعني غير متقنة انسد طريق معرفته بآثاره المضروبة في أنفس الخلائق والآفاق فإذا كان كذلك لزم العبث في حقه تعالى لأنها جارية على مقتضى القدرة ومقتضاها كلما يعلم ويفرض يحتمل خلافه في الحال وكلما يوجد في الكون يحتمل محوه في الحال بل يجب أن لا يستقر وجود لشيء لأنه إذا أوجده قادر على أن يمحوه وإذا محاه قادر أن يوجده وهكذا تعالى ربي عن فعل العبث علواً كبيراً.

وأيضاً يلزمه عدم وجود العلم عند أحد من المخلوقات كافة نبياً أو وصياً أو غيرهما من جميع أنحاء العلوم لثبوت عدم تمكن أحد من تحصيل العلم لأن الأمور الجارية على مقتضى القدرة لا يمكن اكتساب العلم منها لما قدمناه مكرراً وهذا القول من البطلان بمكان.

وبالجملة حيث عرفت صحة إطلاق الخالق على حملة التدابير لكونها محالاً لأفعاله وعرفت أن العالم عالم أسباب وأن إطلاق الفعل على السبب جائز كما نطق به صريح رزق القرآن وهو قوله تعالى ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾[3] ﴿**إِنَّ الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمي أَنْفُسِهِمْ قالُوا فيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ فِي الْأَرْضِ**﴾[4] ﴿**وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ**﴾[5] ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذينَ يَكْتُبُونَ**

---

(١) جامع الأخبار ٤

(٢) سورة الذاريات آية: ٥٦.

(٣) سورة السجدة آية ١١.

(٤) سورة النساءآية ٩٧.

(٥) سورة الأنعام آية ٦١

الْكتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[١] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٢] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[٣] ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾[٤] إلى غير ذلك من الآيات التي فيها تصريح إطلاق الفعل على السبب ظهر لك صحة اطلاق الخالق والرازق والمحيي والمميت وغير ذلك من صفات الفعل على الحقيقة المحمدية إن كنت مستبصراً منصفاً وطالباً للحق والهدى لا معانداً مستكبراً بطريق الأولى لثبوت أن الملائكة ما يتخطون ولا يتحركون إلا بهم وبأمرهم ولا يفعلون إلا بأمرهم كما هو في حديث السجاد عليه السلام.

وروى عن بعض علماء الإمامية في كتاب منهج التحقيق إلى سواء الطريق عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: **كنت أنا والحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنهم فقال له ابنه الحسن عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود عليه السلام سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه ذلك، فهل ملكت مما ملك سليمان بن داود شيئاً؟ فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله عزوجل الملك فأعطاه وإن أباك ملك ما لم يملكه بعد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد قبله ولا يملكه أحد بعده، فقال الحسن عليه السلام: نريد أن ترينا مما فضلك الله عزوجل به من الكرامة، فقال عليه السلام: أفعل إنشاء الله تعالى، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وتوضأ وصلى ركعتين ودعى الله عز وجل بدعوات لم نفهمها، ثم أومى بيده إلى جهة المغرب فما كان بأسرع من أن**

---

(١) سورة البقرة آية: ٧٩.

(٢) سورة الحاقة آية ٤٠.

(٣) سورة يس آية ٣٥.

(٤) سورة المائدة آية ١١٠.

جاءت سحابة فوقفت على الدار وإلى جانبها سحابة أخرى فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أيتها السحابة اهبطي بإذن الله عز وجل، فهبطت وهي تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك خليفته ووصيه، من شك فيك فقد هلك ومن تمسك بك سلك سبيل النجاة، قال: ثم انبسطت السحابة إلى الأرض كأنها بساط موضوع، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اجلسوا على الغمامة فجلسنا وأخذنا مواضعنا، فأشار إلى السحابة الأخرى فهبطت وهي تقول كمقالة الأولى وجلس أمير المؤمنين عليه السلام عليها مفردة، ثم تكلم بكلام وأشار إليها بالمسير نحو المغرب وإذا بالريح قد دخلت تحت السحابتين فرفعتهما رفعاً رقيقاً فتأملت نحو أمير المؤمنين وإذا به على كرسي والنور يسطع من وجهه يكاد يخطف الأبصار، فقال الحسن عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود كان مطاعا بخاتمه وأمير المؤمنين بماذا يطاع، فقال عليه السلام: أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لا يطفى، أنا باب الله الذي يؤتى منه وحجته على عباده، ثم قال: أتحبون أن أريكم خاتم سليمان بن داود عليهما السلام قلنا: نعم، فأدخل عليه السلام يده على جيبه فأخرج خاتماً من ذهب فصه ياقوتة حمراء عليه مكتوب محمد وعلي، قال سلمان: فتعجبنا من ذلك، فقال: من أي شيء تعجبون وما العجب من مثلي أنا أريكم اليوم ما لم تروه أبداً، فقال الحسن عليه السلام: أريد أن تريني يأجوج ومأجوج والسد الذي بيننا وبينهم، فسارت الريح تحت السحابة فسمعنا لها دوياً كدوي الرعد وعلت في الهوى وأمير المؤمنين عليه السلام يقدمنا حتى انتهينا إلى جبل شامخ في العلو وإذا بشجرة

جافة قد تساقطت أوراقها وجفت أغصانها فقال الحسن عليه السلام: ما بال هذه الشجرة قد يبست؟ فقال عليه السلام: سلها فإنها تجيبك، فقال الحسن عليه السلام: أيتها الشجرة ما بالك قد حدث بك ما نراه من الجفاف، فلم تجبه، فقال أمير المؤمنين: بحقي عليك إلا ما أجبته، قال الراوي والله لقد سمعتها تقول: لبيك لبيك يا وصي رسول الله وخليفته، ثم قالت: يا أبا محمد إن أمير المؤمنين كان يجيئني في كل ليلة وقت السحر ويصلي عندي ركعتين ويكثر من التسبيح فإذا فرغ من دعائه جاءته غمامة بيضاء ينفح منها ريح المسك وعليها كرسي فيجلس عليه فتسير به وكنت أعيش ببركته فانقطع عني منذ أربعين يوماً فهذا سبب ما تراه مني، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وصلى ركعتين ومسح بكفه عليها فاخضرت وعادت إلى حالتها، وأمر الريح فسارت بنا وإذا نحن بملك يده في المغرب والأخرى في المشرق ،فلما نظر الملك إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأشهد أنك وصيه وخليفته حقاً وصدقاً، فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الذي يده في المغرب والأخرى بالمشرق، فقال عليه السلام: هذا الملك الذي وكله الله عز وجل بظلمة الليل والنهار لا يزول إلى يوم القيامة، وإن الله عز وجل جعل أمر الدنيا إليَّ وإن أعمال الخلق تعرض في كل يوم عليَّ ثم ترفع إلى الله عز وجل، ثم سرنا حتى وقفنا على سد يأجوج ومأجوج فقال أمير المؤمنين عليه السلام للريح: اهبطي بنا مما يلي هذا الجبل وأشار بيده إلى جبل شامخ في العلو وهو جبل الخضر عليه السلام، فنظرنا

إلى السد وإذا ارتفاعه مد البصر وهو أسود كقطعة ليل دامس يخرج من أرجائه الدخان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمد أنا صاحب هذا الأمر على هؤلاء العبيد، قال سلمان: فرأيت أصنافاً ثلاثة طول أحدهم مائة وعشرون ذراعا، والثاني طول كل واحد منهم سبعون ذراعاً، والثالث يفرش أحد أذنيه تحته والأخرى يلتحف بها، ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهينا إليه وإذا هو من زمردة خضراء وعليها ملك على صورة النسر، فلما نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك: السلام عليك يا وصي رسول الله وخليفته أتأذن لي في الكلام، فرد عليه السلام وقال له: إن شئت تكلم وإن شئت أخبرتك عما تسألني عنه، فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين، قال: تريد أن آذن لك أن تزور الخضر عليه السلام قال: نعم، فقال عليه السلام: قد أذنت لك فأسرع الملك بعد أن قال بسم الله الرحمن الرحيم، ثم تمشينا على الجبل هنيئة فإذا بالملك قد عاد إلى مكانه بعد زيارة الخضر عليه السلام، فقال سلمان: يا أمير المؤمنين رأيت الملك ما زار الخضر إلا حين أخذ إذنك، فقال عليه السلام: والذي رفع السماء بغير عمد لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد لما زال حتى آذن له وكذلك يصير حال ولدي الحسن عليه السلام وبعده الحسين عليه السلام وتسعة من ولد الحسين عليهم السلام تاسعهم قائمهم، فقلنا: ما اسم الملك الموكل بقاف، فقال عليه السلام: ترجائيل، فقلنا يا أمير المؤمنين: كيف تأتي كل ليلة إلى هذا الموضع وتعود، فقال عليه السلام: كما أتيت بكم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السموات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم، إن اسم الله الأعظم على اثنين

وسبعين حرفاً وكان عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلم به فخسف الله عز وجل الأرض ما بينه وبين عرش بلقيس حتى تناول السرير ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة النظر، وعندنا نحن والله اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله عز وجل استأثر به في علم الغيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عرفنا من عرفنا وأنكرنا من أنكرنا، ثم قام وقمنا فإذا نحن بشاب في الجبل يصلي بين قبرين، فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الشاب، فقال: صالح النبي على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام، فقال: وهذان القبران لأبيه وأمه وانه يعبد الله بينهما، فلما نظر إليه صالح لم يتمالك نفسه حتى بكى وأومى بيده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم أعادها إلى صدره وهو يبكي، فوقف أمير المؤمنين عليه السلام عنده حتى فرغ من صلاته، فقلنا له: ما بكاؤك، قال صالح: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يمر بي عند كل غداة فيجلس فتزداد عبادتي بنظري إليه فقطع ذلك مذ عشرة أيام فأقلقني ذلك فتعجبنا من ذلك، فقال عليه السلام: تريدون أن أريكم سليمان بن داود عليهما السلام، قلنا: نعم، فقام ونحن معه حتى دخل بستاناً ما رأينا أحسن منه وفيه من جميع الفواكه والأعناب وأنهاره تجري والأطيار يتجاوبن على الأشجار، فحين رأته الأطيار أتت ترفرف حوله حتى توسطنا البستان وإذا سرير عليه شاب ملقى على ظهره واضعاً يده على صدره، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام الخاتم من جيبه وجعله في أصبع سليمان بن داود عليهما السلام، فنهض قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين أنت والله الصديق الأكبر والفاروق

الأعظم، قد أفلح من تمسك بك وقد خاب وخسر من تخلف عنك، وإني سألت الله عز وجل بكم أهل البيت فأعطيت ذلك الملك، قال سلمان: فلما سمعنا كلام سليمان بن داود لم أتمالك نفسي حتى وقعت على أقدام أمير المؤمنين عليه السلام أقبلها، وحمدت الله عز وجل على جزيل عطائه بهدايته إلى ولايه أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفعل أصحابي كما فعلت، ثم سألت أمير المؤمنين عليه السلام: عما وراء قاف، قال عليه السلام: وراءه ما لا يصل إليكم علمه، فقلنا: تعلم ذلك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: علمي بما ورائه كعلمي بحال هذه الدنيا وما فيها وإني الحفيظ الشهيد عليها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الأوصياء من ولدي بعدي، ثم قال عليه السلام: إني لأعرف بطرق السموات من طرق الأرض نحن الاسم المخزون المكنون نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عز وجل بها أجاب نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عز وجل السموات والأرض والعرش والكرسي والجنة والنار، ومنا تعلمت الملائكة التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، ثم قال عليه السلام: أتريدون أن أريكم عجباً قلنا: نعم، قال: غضوا أبصاركم، ففعلنا ثم قال: افتحوها، ففتحناها فإذا نحن بمدينة ما رأينا أكبر منها، الأسواق فيها قائمة وفيها أناس ما رأينا أعظم من خلقهم على طول النخل، قلنا: يا أمير المؤمنين من هؤلاء، قال: بقية قوم عاد كفار لا يؤمنون بالله عز وجل أحببت أن أريكم إياهم، وهذه المدينة وأهلها أريد أن أهلكهم وهم لا يشعرون، قلنا: يا أميرالمؤمنين تهلكهم بغيرحجة، قال:

لا بل بحجة عليهم، فدنا منهم وتراءى لهم فهموا أن يقتلوه ونحن نراهم وهم لا يروننا، ثم تباعد عنهم ودنا منا ومسح بيده على صدرونا وأبداننا، وتكلم بكلمات لم نفهمها وعاد إليهم ثانية حتى صار بإزاهم وصعق فيهم صعقة، قال سلمان: لقد ظننا أن الأرض قد انقلبت والسماء قد سقطت وأن الصواعق من فيه قد خرجت، فلم يبق منهم في تلك الساعة أحد، قلنا: يا أمير المؤمنين ما صنع الله بهم؟ قال: هلكوا وصاروا كلهم إلى النار، قلنا: هذا معجز ما رأينا ولا سمعنا بمثله، فقال عليه السلام: أتريدون أن أريكم أعجب من ذلك، فقلنا: لا نطيق بأسرنا على احتمال شيء آخر فعلى من لا يتولاك ولا يؤمن بفضلك وعظيم قدرك على الله عز وجل لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والخلق أجمعين إلى يوم الدين)[1].

والروايات بهذا المعنى كثيرة من أراد الوقوف عليها فليطلبها في كتب الأخبار المروية عن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم.

ولهذا سمى الجليل أمير المؤمنين دابة الأرض في قوله تعالى ﴿وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾[2] وإن لفظ دابة في حقه عليه السلام مستهجن لكن أراد الله سبحانه أن يخبر عباده الممتحنين المؤمنين بأنه عليه السلام الداب الحقيقي في أرض الإمكان فدبيب ما سواه عليه السلام من فاضل دبيبه كما قال بعض العارفين:

يا جوهراً قام الوجود به ... الناس بعدك كلهم عرض

وكما قال الآخر:

---

(١) بحار الأنوار ٢٧/ ٣٣ - ٤٠.

(٢) سورة النمل آية ٨٢.

حبيب حبيب الله بل سر سره　　　وعين الورى بل للخلايق روح

ولهذا أشحن خطبة عليه السلام في هذا المعنى مثل قوله عليه السلام: **أنا الذي أهلكت عاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وأنا الذي ذللت الجبابرة وأنا صاحب مدين ومهلك فرعون ومنجي موسى وأنا القرن الحديد وأنا فاروق الأمة وأنا الهادي عن الضلالة وأنا الذي أحصيت كل شيء عددا بعلم الله الذي أودعنيه وأنا حجة الله على من في السموات والأرض ين وأنا دابة الأرض، أنا الراجفة أنا الرافعة أنا الصيحة بالحق يوم الخروج أنا الساعة لمن كذب بها سعيرا وأنا الذي دمرت القرون الماضية فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون أنا صاحب الطوفان الأول أنا صاحب الطوفان الثاني أنا صاحب ثمود والآيات أنا مدمرها أنا مزلزلها أنا مرجفها أنا مهلكها أنا مدبرها أنا بانيها أنا داحيها أنا مميتها أنا محييها أنا الأول أنا الآخر أنا الباطن أنا الظاهر أنا مع الكور قبل الكور أنا مع الدور قبل الدور أنا مع القلم قبل القلم أنا مع اللوح قبل اللوح**[1].

إلى غير ذلك من خطبه الشريفة مثل قوله عليه السلام: **أنا الذات وأنا ذات الذوات وأنا الذات في الذوات للذوات**[2] إلى غير ذلك وسيأتيك حديث فيه تصريح هذا المعنى.

والحاصل لا يعترض على معترض بأن إطلاق الخالق والرازق والمحيي والمميت ما ورد عنهم عليهم السلام فليس لك أن تطلق عليهم ما لم يرد عنهم وأما غيرهم إنما جاز عليه لوروده فيهم لأني أقول قد ورد عنهم في هذا البيان أخبار كثيرة وخطب عديدة.

---

(١) لم نجد هذه الخطبة كما أوردها المصنف قدس سره ولكن وجدنا ما يقاربها في المعنى ومعظم الألفاظ في خطب متفرقة منها ما في غاية المرام ٤ / ١٢٥ ومشارق أنوار اليقين ٢٦٤ و ٢٦٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين ٤٣.

فمنها قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان المشهورة عند الفرقة الناجية المتداولة بين علمائها وعرفائها وعوامها من عصر الأئمة الطاهرين إلى الآن من غير نكير لها منهم المسطورة في كتبهم المزبورة في مصنفاتهم ورواها صاحب الينبوع أيضاً في بيان معرفته عليه السلام بالنورانية وهي خطبة عظيمة جليلة طويلة حاوية لأسرار لا تحصى لكن منها قوله عليه السلام: **أنا صاحب موسى والخضر ومعلمهما أنا منشىء الملكوت في الكون أنا أقمت السموات السبع بنور ربي وقدرته أنا الغفور الرحيم وعذابي هو العذاب الأليم أنا البارىء المصور في الأرحام أنا الذي أبرىء الأكمة والأبرص وأعلم ما في الضمائر أنا أنبأكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أنا البعوضة التي ضرب الله بها المثل أنا الذي أقامني الله والخلق في الظلمة يودعا إلى طاعتي فلما أظهرني أنكروا أمره قال عز وجل ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ أنا الذي كسوت العظام لحما ثم أنشأته خلقا آخر بقدرته أنا المرسوخ في العلم أنا وجه الله في السموات والأرض كما قال الله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أنا حامل العرش مع الأبرار من ولدي أنا صاحب القرون الأولى أنا عذاب يوم الظلة أنا آيات الله وحجج الله وأمين الله أنا أحي وأميت أنا أخلق أنا أرزق أنا السميع العليم أنا الذي أجوز السموات السبع والأرضين في طرفة عين أنا أتولى الحساب أنا فتاح الأسباب أنا منشىء السحاب أنا مورق الأشجار أنا مونع الثمار أنا مفجر العيون أنا مفرد الأنهار أنا داحي الأرضين أنا سماك السموات أنا قسيم الجنة والنار أنا الذي عنده فصل الخطاب أنا ترجمان وحي الله أنا خازن علم الله أنا معصوم من عند الله سبحانه الخطبة.**

ومنها قوله عليه السلام لسلمان وجندب في الحديث النوراني الذي تقدم ذكره ولا بأس بذكر بعضه هنا لأجل الاستشهاد روي هذا الحديث جمع من الأصحاب منهم المجلسي في البحار وصاحب العوالم وغيرهما وهو قوله عليه السلام لسلمان: **يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين قال** عليه السلام: **أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي وأنا الذي أخرجت ابراهيم من النار بإذن ربي وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي**، إلى أن قال عليه السلام: **أنا قدرة الله**.

ومنها ما رواه الطبرسي في الاحتجاج وسائر العلماء في كتبهم في كتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: **فإنا صنايع ربنا والخلق بعد صنايع لنا**[2].

ومنها قول الحجة عجل الله فرجه ورزقنا توفيق طاعته على ما رواه الطبرسي أيضاً في الاحتجاج والمجلسي في البحار: **نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا**[3].

إلى غير ذلك من الأخبار المتظافرة والخطب المتكاثرة في هذا المقام وكلها واضحة الدلالة وصريحة المقال في المراد مثل الحديث المروي عن الصادق عليه السلام لكن قصدنا عدم التطويل في الكلام لأن الاختصار خير في المقام وخير الكلام ما قل ودل.

فإن قيل لا يجوز الاعتماد على هذه الأخبار لكونها أخبار أحاد عارية عن القرائن ومخالفة لنص القرآن الدال على حصر إيجاد الخلق لله تعالى

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/ ٦.
(٢) نهج البلاغة ٣٨٥.
(٣) بحار الأنوار ٥٣/ ١٧٨.

وهو قوله تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[1] والمسند المعرف يفيد الحصر باتفاق العلماء.

قلت: ليس الأمر كما زعم لثبوت عدم مخالفتها لنص القرآن بوجه من الوجوه وحيثية من الحيثيات لأنها غير منافية لانحصار الخلقية لله تعالى بل مثبتة له ذلك لأنه سبحانه لما لم يكن مقترناً بالأشياء لاستلزامه الحدوث كما قررنا سابقاً مراراً متعددة أوجد فعله بنفسه وأجراه على يد أوليائه فهو الفاعل بالأولياء وهو الخالق بجبريل والرازق بمكيائيل والمميت بعزرائيل والمحيي باسرافيل لأنهم حملة التدابير فانتساب الفعل إلى الحملة جائز كما عرفت منا مكرراً لوجود العلاقة وليس مرادنا من الاستشهاد بهذه الأحاديث الشريفة وغيرها من الأدعية والزيارات التي نستشهد بها على ثبوت هذا المطلب العظيم أنهم عليهم السلام هم الخالقون أو الرازقون أو غير ذلك على الحقيقة والاستقلال لأن ذلك كفر وزندقة بل المراد أنهم عليهم السلام هم الفاعلون على حد قوله تعالى ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2] يعني بفعله لثبوت وسعهم إياه كما في الحديث القدسي: **ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن**. ومعلوم أن الذات لا يسعها شيء بل ليس هناك شيء حتى أنه يسعها أو لا يسعها بل المراد من وسعني أمري وفعلي ولا شك في إيمان آل محمد بل المراد من المؤمنين عند الإطلاق هم عليهم السلام لا غير لانصراف المطلق إلى أكمل الأفراد ولهذا قال عليه السلام: **إذا شئنا شاء الله ونريد ما يريده**. الحديث، ومن زعم أن محمداً وآله

---

(١) سورة الحشر آية ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢٦-٢٧.

عليهم السلام وغيرهم من الموجودات خالقون ورازقون دون الله أو مع الله بمعنى التشريك أو بأمر الله بمعنى التفويض كما يفعل العبد بإذن سيده فهو كافر كفر الجاهلية الأولى لا فرق بينه وبين من جعل لله شريكاً وبين من عبد الأوثان لاستلزام ذلك الإستقلال للممكن وانقلابه إلى الوجوب.

قال الصادق عليه السلام: **من زعم أنا خالقون بأمر الله فقد كفر**.يعني من زعم أن الله فوض إلينا أمور عباده كما يفوض السيد أموره إلى عبده والموكل إلى وكيله فقد كفر لأن الحادث إذا صح له الاستقلال لحظة عن القديم صح له ذلك دائماً إذ لا فرق بينه وبين غيرها وهذا ممتنع بالنسبة إلى الفاني، والتفويض الوارد إليهم عليهم السلام في بعض الروايات والزيارات كما في زيارة الرجبية **أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض. الزيارة**.

وقول سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام: **اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عباده إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم**.

وقول الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: **إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم وآيات الله لديكم وعزائمه فيكم ونوره وبرهانه عندكم وأمره إليكم.الزيارة**.

فالمراد منه السببية الإلهية وهم الواسطة في الصدور والورود بهم فتح الله وبه يختم ولولاهم لما أفيض على خلق في جميع مراتب الوجود فيض لثبوت أنهم عليهم السلام محال أفعاله وتراجمة فيضه التكويني والتشريعي فالفيوضات تصل إليهم بهم وإلى غيرهم بهم.

وبالجملة حيث أنهم عليهم السلام محل لفعله سبحانه كما عرفت من التقرير المتقدم يسند إليهم صلوات الله عليهم الفاعلية ويصح إطلاقها عليهم

مجازاً كما يصح إطلاقها على الملائكة كذلك بل عليهم بطريق أولى لورود الفيض عليهم أولاً وبالذات وإلى غيرهم بهم ثانياً وبالعرض لأن الغير إنما يصح إطلاقها عليه لوجود بعض أسرارهم فيه مثل الملائكة لما كانوا مظهرا لهم سلام الله عليهم صح إطلاقها عليهم مجازاً ومثل عيسى بن مريم لما كان حاكياً لهم صلح اسناد **﴿وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْني﴾**[1] إليه كذلك ونعم ما قال بعض العارفين في هذا العنوان:

سَرى سرهم في الكائنات وفضلهم ... وكل نبي فيه من سرهم سر

وإلا الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى قال الإمام عليه السلام: **الحمد لله الذي لم يشهد أحداً حين فطر السموات والأرض ولا اتخذ معيناً حين برء النسمات**[3] هو الذي اخترع الخلق لا من شيء كان وحده لا شريك له ولا وزير ولا نصير، وقال الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾**[2].

والحاصل أن كل من نسب إلى شيخنا قدس سره وشاع في العالمين ذكره وسيدنا أطال الله بقاءه وجعلني من كل محذور فداه غير هذا القول فهو كافر لارتكابه هذا الإثم العظيم لأجل إصداد الناس عن الصراط المستقيم وكل من لم يعتقد هذا الاعتقاد في آل محمد خصوصاً في هذه الأعوام التي ظهر فيها مراتبهم وفضائلهم بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية كالشمس في رابعة النهار حتى ما بقي لمحتج حجة لقد خسر الدنيا والآخرة وأعوذ بالله من حاله والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان وجندب في الحديث

---

(١) سورة المائدة آية ١١٥.

(٢) سورة الأنعام آية ٢.

(٣) بحار الأنوار ٨٧/ ١٧٦.

النوراني: **يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام: أنا أمير كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي وأيدت بروح العظمة وأنا تكلمت على لسان عيسى بن مريم في المهد وأنا آدم وأنا نوح وأنا ابراهيم وأنا موسى وأنا محمد أنتقل في صور كيف أشاء من رآني فقد رآهم ومن رآهم فقد رآني ولو ظهرت للناس في صورة واحدة لهلك الناس وقالوا: هو لا يزول ولا يتغير وإنما أنا عبد من عباد الله لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا كنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر لأنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخلفاؤه وأمناؤه وأئمته ووجه الله وعين الله ولسان الله بنا يعذب عباده وبنا يثيب ومن خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا ولو قال شخص لم وكيف وبم لكفر وأشرك لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ،** إلى أن قال عليه السلام: **إذا شئنا شاء الله وإذا كرهنا كره الله الويل كل الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عز وجل ومشيئته فينا** .الحديث.

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل امرئ بما كسب رهين وأحب أن أذكر بعض عبارات شيخنا المرحوم في هذا العنوان وسيدنا المفضال في هذا المنوال ليعلم الناظر المنصف أني صادق فيما قلت في حال المفتري عليهما ويظهر خسران من عاندهما وعاداهما وافترى عليهما لأنهما سفينة النجاة لمن ركبها. قال رحمه الله في شرح زيارة الجامعة المروية عن لسان الامام علي بن محمد الهادي عليه وعلى آبائه وأبنائه آلاف التحية والسلام عند قوله: **مؤمن بسركم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وآخركم ومفوض في ذلك كله إليكم.**

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/ ٧.

إياك أن تنسب إليهم أو إلى أحد من الخلق من ملك أو نبي أو غيرهم من أفعاله بعد ما بين لك سبحانه فقال تعالى﴿ **أَرُوني ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ**﴾[1] وقال تعالى:﴿**قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[2] كما أنك لا تقول أن الأرض والماء هما اللذان يزرعان الزرع وإنما المعنى أنه سبحانه ما أمرك سبحانه هو الآمر والناهي وحده لا شريك له في شيء من ذلك وإن كانوا هم الحاملين لأمره ونهيه والمبلغين عنه ﴿**لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[3]. فكذلك في جميع ما تسمع مما ينسب إليهم من أفعاله هو الفاعل على أيدي من يشاء من خلقه من الأنبياء والملائكة والحيوانات والنباتات والطبائع والعناصر فمن شاء من خلقه جعله تراجمة لفعله وذلك حكمه وقضاؤه في صنعه وفي وحيه وأمره ونهيه على حد سواء فافهم ولا تتوهم غيرهذا فتكون من الكافرين.

وقال رحمه الله أيضاً في الشرح عند قوله (وأجسادكم في الأجساد) أوصيك وصية ناصح ألا تستغرب هذه الأشياء أو تنكرها فإنا لا نريد أنهم عليهم السلام فاعلون أو خالقون أو رازقون بل نقول أن الله سبحانه هو الخالق والرازق وهو الفاعل لما يشاء وحده عز وجل لم نجعل له شريكاً في شيء إلا أنا نقول أنه لا يفعل شيئاً بذاته لتكرمه وتنزهه عن المباشرة وإنما يفعل ما يشاء بفعله وبمفعوله من غير تشريك بل هو الفاعل وحده أما فعله للشيء بفعله فهو إذا أراد شيئاً كان ما أراد من غير حركة ولا ميل ولا انبعاث ولا تفكر ولا روية وليس معه شيء يفعل به ما يفعل زائد على فعله لما فعل إذ ليس شيء

---

(١) سورة فاطر آية ١٠٠.
(٢) سورة الرعد آية ١٦.
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٧

غير ذاته المقدسة أي أن فعله إنما هو شيء بذاته ومفعوله إنما هو شيء بفعله تعالى وأما مفعوله تعالى فهو تعالى يفعل بما يشاء من مفعولاته ما شاء من صنعه مثلاً إذا أراد أن ينبت الحنطة خلق لها الأرض بفعله أو بشيء من مفعوله وخلق الماء كذلك وخلق زيداً مثلاً يزرعها وخلق لزيد جميع ما يتوقف عليه من القوى والعلوم وتسليطه على البذر والماء والأرض فإذا ألقى البذر في الأرض وسقاه كما علمه الله وألهمه أنبت الله سبحانه بهذه الأشياء التي هي مفعولاته ما شاء من صنعه فقال﴿**أَفَرَأَيْتُمْ ما تحْرُثُونَ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[1] والله سبحانه هو الزارع وحده من غير شريك مع غيره وكذلك ما خلق في الأرحام كما روي أنه خلق ملكين خلاقين يقتحمان إلى البطن من فم أمه فهما يقدرانه كما أمرهما وكذلك ميكائل جعله الله موكلاً بالأرزاق وهو تعالى وحده هو الرزاق ذو القوة المتين وكذلك جعل ملك الموت موكلاً على قبض الأرواح قال تعالى﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾[2] مع أنه قال تعالى ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها**﴾[3] انتهى.

وقال السيد أطال الله بقاءه وجعلني من كل مكروه فداه في جواب سؤال في حججه الدامغة حين سئل أنه تواترت من كلماتكم المنسوبة إليكم أن نبينا والأئمة عليهم السلام لهم مدخل في خلق الخلق فما المراد من ذلك هل لهم شركة في خلق الخلق أم هم مستقلون فيه أم أمر الخلق بعد خلقهم مفوض إليهم أم خلقوا بإذن الله إلى أن قال أبين سر الحق إنشاء الله تعالى.

---

(١) سورة الواقعة آية ٦٣ - ٦٤.

(٢) سورة السجدة آية ١١.

(٣) سورة الزمر آية ٤٢.

قال: إن أدلة التوحيد من العقل والنقل منعت أن يكون لله شريك في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله وفي عبادته وأن يكون سبحانه متعدداً مختلفاً وأن يكون خلقه عنه معزولاً ومستغنياً بأن ترتفع حاجة الخلق عنه سبحانه في حال من الأحوال وفي طور من الأطوار فلا يصح أن يكون لله شريك في إحداث شيء من مخلوقاته وأن يكون الإله متعدداً حتى يكون الإمام عليه السلام إلهاً من دون الله مستقلاً في هذا الإحداث والإيجاد أو أن يكون الإمام عليه السلام وحده مستقلاً في هذه الأحوال والأفعال لتكثر أجزائه وتعدد جهاته وشؤونه وأطواره ولسائر ما يقتضي الحدوث وينافي العدم أو يكون الله سبحانه قد فوض أمر الخلق إلى أحد بحيث يكون ذلك فاعلاً بدون الله سبحانه وإن كان بإذنه وأمره كالعبد إذا أمره المولى بأن يفعل شيئاً فهو حين الفعل معزول عن المولى وخارج عن يده وإحاطته واستيلائه وهذا المعنى لا يمكن أن يكون في الإمكان فإن الممكن إذا استغنى عن الله واعتزل عنه سبحانه في حالة واحدة يجوز أن يستغني وينعزل عنه في كل الأحوال وهذا محال فالتفويض بهذا باطل باطل وقد أجمعت الإمامية على بطلان التفويض في الأفعال الاختيارية فما ظنك في إيجاد الحوادث الكونية وذلك قد أجمع على بطلانه المسلمون بل المليون كافة وعامة فمن قال بمدخلية أحد في خلق العالم لإحداث الموجودات مدخلية تشريك أو استقلال أو تفويض أو إذن يرجع إلى التفويض فهو كافر والقول به كفر وزندقة وهو قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[1] ولكن الله سبحانه حيث يجل عن المباشرة للأشياء بذاته حتى أن المولى المجلسي رحمه الله جعل الفعل بالمباشرة مستحيلاً عليه سبحانه بمعنى أنه لا قدرة له

---

(١) سورة الروم آية ٤٠.

عليه لأنه قال المقدورات ثلاثة أقسام قسم يقدر عليه الله والخلق وقسم يقدر عليه الله دون الخلق وقسم يقدر عليه الخلق دون الله وجعل رضوان الله عليه هذا القسم هو الفعل بالمباشرة وبالجملة إن الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء بما يشاء لكنه سبحانه جعل العالم عالم أسباب فيجري الأشياء بأسبابها كما خلق النبات بالمطر والأرض والبذر وخلق الإنسان من النطفة والعلقة والمضغة وسائر الأطوار، وأقام بنية الإنسان بالقلب والروح وحفظ تدبيرها بالقلب والروح فلولاهما لم تنتظم البنية ولم تتم الخلقة وحفظ الإنسان بالرزق الذي هو الشراب والطعام فلولاهما لم تحفظ هذه البنية بهذه الخلقة والفطرة وجعل ظهور الإنسان وخلقته في عالم الأجسام بالأب والأم فلولاهما لم يكن الولد إلا نادراً كآدم وعيسى على نبينا وآله وعليهما السلام وإن كان سبحانه قادراً أن يخلق هذه الأشياء ويوجدها بدون تلك الأسباب فكذلك جعل الملائكة مدبرات ومقدرات ومقسمات وحافظات ومعقبات وقد بعث ملكين خلاقين يقتحمان رحم المرأة من فمها ويقولان يا رب كيف نخلقه ذكراً أم أنثى فيأتيهم النداء بما يريد الله سبحانه ثم يقولان كيف نخلقه شقياً أم سعيداً فيأتيهم النداء بما يريد الله سبحانه مع أن الله سبحانه قادر أن يخلق الولد من غير رحم أو أنه يخلقه فيها من غير الملك وكذلك الله سبحانه جعل الشمس سبباً لإحداث النهار وإيجاده وإن كان قادراً أن يوجده بدونها وكذلك جعل النار سبباً للنضج والماء سبباً للدفع والهواء سببا للهضم والتراب سبباً للإمساك مع أنه سبحانه قادر على إحداث هذه الأشياء بدون هذه الأسباب.

وكذلك جعل عزرائيل سبباً للموت وميكائيل سبباً للرزق وإسرافيل سبباً للحياة وجبرائيل سبباً للخلق مع أنه قادر أن يوجد هذه المسببات

بدون تلك الأسباب. وبالجملة إنكار وجود الأسباب في إيجاد الأشياء وخلقها إنكار للضروري ومصادمة للبديهي فإذا تحققت هذه الأسباب وثبتت مدخليتها في خلق الخلق وأطواره فنقول ولا قوة إلا بالله، فالمراد من هذه المدخلية هل لتلك الأشياء أي الأسباب الموجبة لوجود المسببات شراكة مع الله أم هي مستقلة من دون الله أو أن الله سبحانه فوض إليها الأمر أو أمر آخر وهذه الوجوه المذكورة كلها مستحيلة والمدخلية ثابتة. فإن قلت أن عزرائيل حين يقبض الأرواح يقبضها بشراكة من الله تعالى أو باستقلال دون الله أو بتفويض الأمور إليه فهذه الوجوه الثلاثة قد دلت الضرورة على بطلانها وأبى المذهب إثباتها.

وإن قلت: لم يفعل عزرائيل ولم تجر الأشياء بالأسباب، فقد كذبت القرآن وأبطلت الوجدان فبالضرورة تكون هذه المدخلية بأمرآخر وراء تلك الاحتمالات عرفته أو لم تعرفه ولا محيص لك عن إثباتها ولا مناص عن حصولها فإذا كانت مدخلية هذه الأسباب ما استلزمت الشراكة ولا الاستقلال ولا التفويض فليكن مدخلية الأئمة عليهم السلام في العالم من هذا القبيل لا تستلزم استقلالاً ولا شراكة ولا تفويض فكيف تجوز مدخلية غيرهم من استلزام وجه شيء من هذه الوجوه وتعرفه وتعرف مدخلية الأئمة عليهم السلام إلا بهذه الوجوه الباطلة ولا تعقل غيرها وهل هي إلا مجازفة ومكابرة.

إلى أن قال سلمه الله وبالجملة هم عليهم السلام محال مشيئة الله والسبب الأعظم في إيجاد كلما خلق الله ومدخليتهم في خلق العالم مدخلية تسبيب لا المشاركة ولا الاستقلال ولا التفويض بل الله سبحانه هو الفاعل وهو الخالق والرازق وحده ولكنه سبحانه أجرى فعله تعالى بما يشاء من خلقه كما يشاء وهو القادر على نفي الأسباب لكنه سبحانه أجرى عادته على

إجراء فعله بالأسباب لحكم ومصالح كثيرة وقال أمير المؤمنين:لو أراد الله أن يعرف نفسه خلقه بدوننا لفعل ولكنه جعلنا أبوابه وسبله)) الحديث، انتهى ما أردت نقله.

إلى غير ذلك من عباراتهم التي صرحوا فيها بأن مرادهم من إطلاق العلة الفاعلية عليهم سلام الله. عليهم مجاز لأنهم عليهم السلام كما عرفت واسطة الإيجاد في الصدور والورود لأنهم أول الخلق كما أثبتنا سابقاً ومحل الصفات الفعلية وأول الخلق يجب أن يكون واسطة لئلا تلزم الطفرة الباطلة في مذهب الإسلام.

فإطلاق الصفات عليهم باعتبار كونهم محالاً لها وهذا المعنى صريح الحديث القدسي المتقدم وبالله العجب بعد ما يثبت عندهم بالأدلة القطعية من العقلية والنقلية وبإجماع الفرقة الناجية أن محمداً وآله الطاهرين أشرف الخلق وأفضلهم على الإطلاق حتى من الملائكة لأنهم خلقوا من فاضل تسبيح أمير المؤمنين عليه السلام[1] كما نطقت به كتب الأخبار كالعوالم والبحار والينبوع والمنتخب في جمع المراثي والخطب للشيخ فخر الدين والمشارق وغير ذلك من كتب الأصحاب فراجعها فإنك تراها مشحونة بذلك فكيف لم يقبلوا ما يقبلونه في حق الغير فإني أراهم إذا قيل لهم عيسى روح الله تنشرح صدورهم وتطمئن قلوبهم فإذا قيل لهم أمير المؤمنين نفس الله تشمئز قلوبهم وتنفر نفوسهم وتضطرب ويقولون أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً، وإذا قلت لهم بأي شيء كفرت يقولون بقولك أمير المؤمنين نفس الله.

وإذا قيل أن ميكائيل يقسم الأرزاق بقدرة الله وإسرافيل يحيي ما في العالم

---

(١) في بحار الأنوار ٣٥/ ٩٩ في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قال (وخلق من تسبيح علي الملائكة المقربين فكلما سبحت الملائكة المقربون منذ أول يوم خلقها الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة فهو لعلي وشيعته).

كذلك عزرائيل يميت ما في العالم كذلك وجبرائيل يخلق ما في العالم كذلك وأن الرزق والحياة والموت والخلق السارية في الموجودات كلها من هؤلا الأربعة وأعوانهم من سائر الملائكة يصدقون ويتلقونه بالقبول ويعظمونه تعالى بإجراء قدرته الظاهرة على أيدي هؤلاء الملائكة. وإذا قيل لهم أن محمداً وآله يجري الله على أيديهم هذه الأفعال أولا وبالذات لأنه سبحانه فتح بهم خلقه تشمئز نفوسهم وتضيق كأنما يساقون إلى الموت وتكاد تميز من الغيظ ويقولون هذا شرك قديم وإذا قلت لماذا؟ يقولون لأنه مستلزم للتفويض والاستقلال وإذا قلت لهم لأي شيء ما يلزم بالنسبة إلى الملائكة شيء من ذلك وأما بالنسبة إلى آل محمد يلزم ما ذكرتم من الوجوه الباطلة؟ يقولون إن سببية الملائكة ومدخليتهم في إيجاد الأشياء تثبت بالدليل القطعي بخلاف آل محمد صلوات الله عليهم فإنه لم يدل على ذلك دليل صريح والأصل عدم الإطلاق عليهم وعلى غيرهم لكن ما ورد الدليل في حق الغير قلنا به وآل محمد عليهم السلام لما لم يرد دليل صريح في ذلك بقي على أصل المنع.

فانظر كيف يموهون الطغام الأمر على العوام الذين هم كالأنعام التابعين لكل من نهق من أولاد الحرام لأدنى طمع من الحطام والدليل على أن ما يذكرون من عدم الدليل تمويه وتلبيس أن مدخلية الحادث في إيجاد بعض الأشياء إن كانت توجب تلك الوجوه الباطلة يجب عليهم إنكار مدخلية كل حادث حتى الملائكة مع أنهم غير منكرين ذلك.

فإن قيل ثبت ذلك بالدليل قلت بأي دليل ثبت به إن كان بالعقلي فهو كما يحكم بجواز مدخلية الملائكة يحكم بجواز مدخلية آل محمد عليهم السلام بطريق أولى لأنهم من شعاعهم ومخلوقون بواسطتهم ولهذا يقال أن العقل نبي باطني يعني أنه من شعاع النبي الظاهري وإن كان بالنقلي

فالنقل الوارد في إثبات هذا الإطلاق لآل محمد عليهم السلام أكثر من أن يحصى وإنكاره مكابرة لأن زياراتهم ودعواتهم وخطبهم وكتب الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام مشحونة من ذلك ولقد ذكرنا نبذاً منها فيما تقدم ولا بأس بذكر بعض منها لأجل الاستشهاد ولعمري ما أدري ما الداعي إلى الإنكار والتعدي على حق الأئمة الأطهار وإنزالهم إياهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وسيجزيهم بما كانوا يعملون.

الفصل الخامس

في بيان أنهم عليهم السلام علة غائية وعلة صورية وفيه مطلبان

الأول: في بيان حصر العلة الغائية بالحقيقة المحمدية. اعلم يا أخي أن كون محمد وآل محمد علة غائية للموجودات له معنيان. أحدهما: أن الموجودات بأسرها خلقت لأجلهم ولمنافعهم كما أفصحت به الروايات المستفيضة عن صفوة البرية منها الحديث القدسي :**خلقتك لأجلي وخلقت الخلق لأجلك**، وحديث آخر مثله في الدلالة وهو :**لولاك ما خلقت الأفلاك**.

ومنها ما رواه صاحب مشارق الأنوار في إثبات فضائل أهل العصمة سلام الله عليهم عن النبي ﷺ :**أول ما خلق الله نوري ثم فتق منه نور علي عليه السلام إلى أن قال** ﷺ **ثم خلق الخلائق من نوري، فنحن صنائع الله والخلق من بعد صنائع لنا أي مصنوعين لأجلنا)**.

يؤيد ذلك ما رواه السيد الرضي رحمه الله في نهج البلاغة من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية:**أما بعد فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا، ثم لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا**[1] .

ومنها ما روي عن الصادق عليه السلام:**نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا**.

يعني لأجلنا ولانتفاعنا هذا على بعض وجوه هذه الأحاديث ومنها حديث الكساء المشهور بين الفرقة فإنه صريح في المطلوب على ما رواه فخر الدين في المنتخب وورد عنهم عليهم السلام :**لولانا ما كانت سماء مبنية ولا**

---

(١) نهج البلاغة ٣٨٥.

أرض مدحية ولا فلك يدور ولا شمس مضيئة ولا قمر منير.

إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا العنوان وهذا لا يحتاج إلى بيان أوضح من هذا لعدم الحاجة. وثانيهما: أن مرجع الخلائق إليهم وحسابهم عليهم كما أشار إليه تأويل قوله تعالى﴿وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى﴾[1] ﴿إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ﴾[2] كما أشرنا إليه سابقاً والزيارات والروايات والخطب كلها مصرحة بهذا المعنى.

أما الزيارات فمنها قول الهادي عليه السلام في الجامعة:**إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم وفصل الخطاب عندكم.**

وفي المحمدية البيضاء وغيرها من الزيارات المتواترة عنهم عليهم السلام هذا المعنى موجود، وأما الروايات فكثيرة منها قول زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام:**اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عباده إن إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم.**

ومنها قول الباقر عليه السلام على ما روي في الكافي:**إذا كان يوم القيامة وجمع الله عز وجل الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعي أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى علي مثلها ويكسى رسول الله حلة وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويكسى علي مثلها ثم يصعدان عندها ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار)**[3] .

وما روي عن الكاظم عليه السلام **إلينا إياب الخلق وعلينا حسابهم فما كان من**

---

(١) سورة النجم آية ٤٢.

(٢) سورة الغاشية آية ٢٥- ٢٦.

(٣) الكافي ٨/ ١٥٩.

(٤) الكافي ٨/ ١٦٢.

ذنب[4] . الحديث.

وفي الأمالي عن الصادق عليه السلام :**إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا)**[1] .

ومعلوم أن من إليه ترجع أمور الدنيا من لدن آدم إلى يوم القيامة كذلك أمور الآخرة لأن الله أقامهم مقامه في الأداء في سائر عالمه فإليهم يرجع الأمر كله على تفسير التأويل والباطن وفي بعض الروايات أن الضمير في إليه يرجع إلى الولي المطلق وأن ضمير فأعبده راجع إلى الله أي أعبد الله بهذا الإعتقاد فإنه أفضل الأعمال وما يتقرب به لذي الجلال كما هو ظاهر.

والأحاديث الدالة على أن عندهم فصل الخطاب وأنهم القاسمون بين الجنة والنار تؤيد هذا المعنى لأن ذلك لا يتم إلا بكونهم المحاسبون والمتولون كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :**إذا كان يوم القيامة يقول الله لي ولعلي أدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ والكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام**[2] .

وعن علي عليه السلام في بعض خطبه المشهورة:**إنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى وأنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وإليَّ تزويج أهل الجنة وإليَّ عذاب أهل النار وإليَّ إياب الخلق جميعاً وأنا صاحب الهتاف وأنا المؤذن على الأعراف وأنا بارز الشمس وأنا دابة الأرض وأنا قسيم النار وأنا خازن الجنان وأنا صاحب الأعراف وأنا أمير المؤمنين)**[3] . **الخطبة.**

---

(١) أمالي الطوسي ٤٠٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٠ / ٤٣.

(٣) بحار الأنوار ٥٣/ ٤٧.

وبالجملة فالكتاب والسنة المتواترة والبراهين القطعية مصرحة بعرض الأعمال البر والفاجر في كل يوم أو يوم الجمعة أو مرتين في الأسبوع على اختلاف الروايات وفي ليالي القدر كذلك عليهم عليهم السلام ومعلوم أن من تعرض عليه الأعمال هو المرد والمرجع والمآل وهو المحاسب لجميع الخلق من الإنس والجان والملائكة والسموات والأرضين والعناصر وسائر المركبات وكل جزء جزء من خلق مما في الإمكان لأنهم أولياء الرحمن أما الخطب فكثيرة في هذا الباب.

منها قول:**أنا الذي أتولى حساب الخلائق أجمعين وإلى إياب الخلق جميعاً**، وفي بعض خطبه عليه السلام:**أنا جنب الله**، إلى أن قال:**إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**.إلى غير ذلك من كلماته الشريفة الموجودة في خطبه مثل خطبة البيان والطتنجية والافتخار وغيرها.

وبالجملة فإنا إذا قلنا أن محمداً وآله عليهم السلام هم العلة الغائية نريد منه أحد هذين الوجهين لا ما اشتهر بين العوام من أن العلة الغائية هي المتقدمة في التصور والمتأخرة في الإيجاد لأنه باطل لاستلزامه عدم وجود آل محمد عليهم السلام إلى الآن لثبوت عدم فراغه من الخلق والإيجاد لأن فيضه دائم ليس له انقطاع كما قال سبحانه وتعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1] ، يعني من أحداث بديع لم يكن وقد رد الله على اليهود لعنهم الله لما نسبوا إليه ذلك بقوله﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾[2] يعني مبسوطتان بالفيض والإيجاد.

وإذا ثبت عدم انقطاع فيضه لأنه سبحانه دائماً متجدد الإفاضة ظهر

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٩.

(٢) سورة المائدة آية ٦٤.

بطلان قولهم أن الأئمة علة غائية بذلك المعنى المصطلح عندهم من أنها هي المتقدمة في الذكر والمتأخرة في الوجود كصنع السرير بالنسبة إلى الجلوس فإنه هو العلة الغائية في وجود السرير وهو تصوره متقدم على عمل السرير ووجوده متأخر عنه.

والحاصل فكما أنهم عليهم السلام أول الموجودات ومبدأها كما عرفت مما تقدم من الوجوه كذلك هم عليهم السلام نهايتها وآخر ما ينتهي إليهم أمرها فبهم البدء والختم لأن الفاتح هو الخاتم وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام بقوله **أنا الأول وأنا الآخر وأنا الظاهر والباطن**[1].

وهذا المعنى ظاهر عند محبيهم أما سمعت مخاطبة الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام حين قابلها وخاطبها بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقولها له: السلام عليك يا أخا رسول الله يا أول ويا آخر ويا ظاهر ويا باطن ويا من هو بكل شيء عليم[2].

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في هذا الشأن ومعنى هذا الحديث الشريف أن فضل محمد وآله عليهم السلام ظاهر على كل شيء دخل في حيز الإمكان والأكوان لأنهم عليهم السلام أمر الله الذي ذل له كل شيء وخضع له كل شيء من

---

(١) بحار الأنوار ٣٩/ ٣٤٧.

(٢) في بحارالأنوار ١٤ / ١٧٩ عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت أبا ذر جندب بن جنادة الغفاري قال رأيت السيد محمدا صلى الله عليه وآله وقد قال لأمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة إذا كان غدا اقصد إلى جبال البقيع و قف على نشز من الأرض فإذا بزغت الشمس فسلم عليها فإن الله تعالى قد أمرها أن تجيبك بما فيك فلما كان من الغد خرج أمير المؤمنين عليه السلام و معه أبو بكر و عمر و جماعة من المهاجرين و الأنصار حتى وافى البقيع و وقف على نشز من الأرض فلما طلعت الشمس قال عليه السلام السلام عليكِ يا خلق الله الجديد المطيع له فسمعوا دويا من السماء و جواب قائل يقول و عليك السلام يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فلما سمع أبو بكر و عمر و المهاجرون و الأنصار كلام الشمس صعقوا ثم أفاقوا بعد ساعاتهم و قد انصرف أمير المؤمنين عن المكان فوافوا رسول الله ص مع الجماعة و قالوا أنت تقول إن عليا بشر مثلنا و قد خاطبته الشمس بما خاطب به البارئ نفسه فقال النبي ص و ما سمعتموه منها فقالوا سمعناها تقول السلام عليك يا أول قال صدقت هو أول من آمن بي فقالوا سمعناها تقول يا آخر قال صدقت هو آخر الناس عهدا بي يغسلني و يكفنني و يدخلني قبري فقالوا سمعناها تقول يا ظاهر قال صدقت بطن سري كله له قالوا سمعناها تقول يا من هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ قال صدقت هو العالم بالحلال و الحرام و الفرائض و السنن و ما شاكل ذلك فقاموا كلهم و قالوا لقد أوقعنا محمد ص في طخياء و خرجوا من باب المسجد.

نور وفيء وقد أفصح عن هذا المعنى علي الهادي عليه وعلى آبائه السلام بقوله الشريف في الجامعة: **آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم**. والعالمين جمع محلى بالألف واللام وهو يفيد العموم باتفاق الأصوليين وكذلك الشيء مفيد للعموم بالاتفاق.

وباطن أي مستبطن لها فلا يخفى عليهم من أحوالها شيء بالله يعني بأمره ومن عرف باطن وتأويل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾(1) وكذا باطنها وباطن باطنها إلى سبعة بطون وظاهرها وظاهر ظاهرها كذلك يظهر له أن بدء الوجود بهم وختمه بهم عليهم السلام بلا شك ولا إشكال ولا زوال ولا اضطراب ومن لم يعرف يصدق ويسلم ويؤمن ولا يقل لم وكيف لأن قول شيء من ذلك يلزم الكفر كما هو مدلول الروايات المستفيضة وخبر المعرفة بالنورانية.

وبالجملة فإن كنت تفهم وإلا سلم تسلم كما قال بعض العارفين:

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا وإن لم يك فهم فيأخذه عنا
فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد عليه وكن في الحال فيه كما كنا
فمنه إلينا ما تلونا عليكم ومنا إليكم ما وهبناكم عنا

وإن قلت ما أدري فهو حق قاله الشاعر:

إذا كنت ما تدري ولا أنت بالذي تطيع الذي يدري هلكت ولا تدري
وأعجب من هذا أنك ما تدري وإنك ما تدري بأنك ما تدري

والحاصل أنهم عليهم السلام مصدر الأشياء كما أثبتنا ذلك بالروايات والزيارات والإجماعات ومن هو مصدر الأشياء فعودها إليه ضرورة كما بدءكم

---

(1) سورة الحديد آية ٣.

تعودون وفي الدعاء:**بدؤها منك وعودها إليك**.ومن هو المبدأ والمعاد فزمام الأمور إليهم لأنهم عليهم السلام أمر الله ومرجع الأشياء إلى أمره لا إلى ذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فافهم وإلا يا أخي سلم لآل محمد أمرهم حتى تسلم وسيأتي بيان أخبار وجوب التسليم لهم إنشاء الله تعالى.

المطلب الثاني: بيان حصر العلة الصورية فيهم سلام الله عليهم.

اعلم يا أخي جعلك الله من حزب أبي تراب والشيعة الأطياب يوم الحساب ونشر الكتاب لما ظهر لك مما تقدم عدم جواز كون ذات الله المقدسة علة فاعلية ومادية وغائية للموجودات لمنافاة العلية مقام الصمد كما بيناه وأوضحناه فهنا نريد أن نبين لك عدم جواز كون الذات البحت والمجهول النعت علة صورية لها فنقول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم.

ليست الموجودات المخلوقة من أثر ذاته المقدسة وشعاعها من حيث هي لأنها من حيث هي ليس لها أثر وشعاع بل لها ذلك من حيث ظهورها بالفعل فيكون الأثر والشعاع له بعد كماله وقد بينا لك أن فعله حادث وأن الحقيقة المحمدية أول الحوادث فتكون هي العلة الصورية لها وبيان ذلك على وجه لا يرتاب فيه ذو مسكه هو أن نقول:

وأما كونهم عليهم السلام علة صورية للكائنات فلأنها لما كانت مكونة من فاضل طينتهم عليهم السلام فصورها من هيئات الأشعة المنفصلة عن أجسامهم لأن هذه الأشعة مواد للمخلوقات والمادة لها هيئات هيئة بحسب الفطرة الأولية التي خلق الله كل موجود عليها وهيئة بحسب الفطرة الثانوية التي يقع فيها التغير بحسب السعادة والشقاوة ومعاملة كل بفعله الصادر عنه بالاختيار وفعله عمله وعمل الشيء أم الشيء ولذا ورد السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه أي عمله المتلبس به.

والحاصل فتصوير كل شيء بصورة فعله أي عمله سعادة وشقاوة من عليين أو سجين هو العدل الأعم والجود الأتم فإذا كان مادة كل شيء من فاضل طينتهم أي شعاعهم عليهم السلام ثبت أنهم عليهم السلام علة صورية للكائنات لأن تلك المادة منصبغة إما بصورة الإقرار أو الإنكار فصورة الإقرار هو الصبغ في الرحمة وصورة الإنكار هو الصبغ في الغضب كما أشار إليه الصادق عليه السلام بقوله: **إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)**[1] فالمادة قبل الصورة لا توصف لا بالنور ولا بالظلمة فإذا صبغت في الرحمة وصفت بالنور وإذا صبغت في الغضب وصفت بالظلمة وإلى هذه الدقيقة أشار عليه السلام **إن الله خلق المؤمنين من نوره** فقبل الإيمان ما يقال أنه مخلوق من نور الله وإن كان أنه في الواقع نور لأن المادة هو الوجود وهو نور ولكن إن تلبست بصورة محبته ورضاه فهي نور وصح انتسابه إلى الله تعالى لتطابق الواقع والظاهر وإن تلبست بصورة عدم محبته ورضاه فهي ظلمة وحجاب ولا يجوز انتسابها إلى الله وإن كانت موجودة به فافهم.

وبعبارة ظاهرة كل شيء قبل ولاية آل محمد في عالم الذر أي ذر كان ظاهراً أو باطناً خلقه الله على فطرة الأولية أي على صورة الإنسانية وهي على هيكل توحيده لكن إنسانية كل بحسبه وكل شيء لم يقبل ولايتهم عليهم السلام ظاهراً أوباطناً خلقه الله على فطرة الثانوية أي التي وقع فيها التغيير والتبديل هي صورة الشيطانية كما قال الله تعالى ﴿**وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾[2] وكل شيء قبل ولايتهم عليهم السلام باطناً فقط لوجود الموانع خلق باطنه

---

(١) بحار الأنوار ٦٤/ ٧٥.

(٢) سورة النساء آية ١١٩.

على مقتضى الأولية وظاهره على الثانوية وكل شيء قبل ولايتهم ظاهراً وأنكرها باطناً لأغراض وغايات كأبي الشرور وأبي الدواهي وأتباعه خلق ظاهره على مقتضى الأولية وباطنه على الثانوية فافهم وكن به ظنيناً.

فكل مثال فهو صفة إجابتهم وإنكارهم وتلك المادة والتصوير من قبول الإجابة أو الإنكار بالتوفيق والخذلان فإمداد أهل الفطرة الأولية على حسب التوالي والموافقة والإقبال وإن تفاوتت الإمدادات على مقتضى القوابل قلة وكثرة وصفاء وعدمه لأنه على مقتضى القابلية وإمداد أهل الفطرة الثانوية على خلاف التوالي يعني على حسب الإنكار والإدبار فإمداد أهل فطرة الإقامة على مقتضى الفضل والرحمة الخاصة وإمداد أهل فطرة الثانية على مقتضى العدل والرحمة العامة فالأولى معونة خاصة وجهة اليمين والثانية تخلية خاصة وجهه شمال فآل محمد عليهم السلام هم الرحمة الخاصة والعامة كما قال الله تعالى ﴿**كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾[1] فافهم.

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٠.

الخاتمة

في بيان مراتبهم عليهم السلام في الوجود

اعلم يا أخي أن مراتب آل محمد عليهم السلام من الملك العلام بحسب الكلية أربعة مقامات. مقام البيان ومقام المعاني ومقام الأبواب ومقام الإمامة يعني ظهورهم بالبشرية الظاهرة.

فالأول مقام البيان: هو المعبر عنه في أحاديثهم وأدعيتهم وخطبهم بالجلالات والمقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان وهذا المقام لا اسم له ولا رسم لأنه مقام الحديدة المحماة بالنار كما قال علي عليه السلام **ظاهري ولاية وباطني غيب لا يدرك** ومقام **نحن ظاهره فيكم** وهو صريح قول مقام **أنا الذي لا يقع عليّ اسم ولا صفة** ومقام **ينحدر مني السيل ولا يرقى إلى الطير** ومقام تأويل قوله تعالى﴿وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[1] .

ومقام **لنا مع ربنا حالات لا يسعنا فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن نحن فيها هو وهو فيها نحن إلا أنه هو هو ونحن نحن** ومقام **مقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك.**

والأدلة الواردة في بيان هذا المقام كثيرة غير الذي تقدم مثل قوله عليه السلام: **فألقى في هويتها مثاله وأخرج عنها أفعاله ، تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها** .إلى غير ذلك من الأخبار في بيان هذا العنوان وهذا مقام

---

(١) سورة الحج آية ٤٥.

فاعلية الفعل بالفعل وانمحاق ماهية الأثر فيه بحيث لم يبق لها فعل لكن الانمحاق إعدام ولا اتحاد بل لغلبة حكم فعل الذات وصيرورة الماهية بحكم الوجود مطلقاً وظهور الذات بفعلها وهو يغيب حكم الصفة وإنما الحكم للذات ولكن بحسب الظهور نفسه لا الذات بأحديتها تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وقد أخطأ هذا المقام خلق كثير كالصوفية لعنهم الله لأنهم أتوا من غير الأبواب التي أمروا بالدخول منها ولهذا تراهم يخبطون خبط عشواء.

والعجب من أناس يدعون أنهم متمسكون بأذيال الأئمة الطاهرين وإذا وصلوا حول هذه اللجة تراهم راكبين في سفينة الهلاك وتاركين سفينة النجاة وفيهم من يدعي أنه إخباري لا يقول إلا ما قالوه آل محمد عليهم السلام وفي مثل هذه المقامات يجعل همته في تطبيق كلام آل محمد عليهم السلام على قواعد مميت الدين بن عربي لأنها مسلمات عنده ومعتمد عليها لكن يريد التطابق بينهما ليحوز الفخرين أعني كلام بن عربي وغيره من الصوفية وكلام آل محمد عليهم السلام والعمل بهما معاً هيهات هيهات ليس لهم إلى ذلك من سبيل إنه محال لعدم اجتماع الحق مع الباطل في مرحله واحدة.

فكيف يعقل إمكان الجمع بين كلام مميت الشريعة والدين وبين كلام محيي الشريعة والدين بعون رب العالمين لكن كما قال بعض العارفين:

وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

والحاصل ولا خير في قول يكذبه الفعل والدعوى بغير شهود المدعي باطلة وليس المقصود هنا بيان هذا المطلب ولكن اتفق ذكره استطراداً.

وهذا المقام أعلى مقاماتهم لأنه مقام الظهور لهم بهم ومقام باطن الباطن ومقام السر المقنع بالسر وحق الحق قال عليه السلام في بيان هذا المقام: لا يعرف

الله إلا بنا ومن عرفنا عرف الله ومن لم يعرفنا لم يعرف الله ولا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ومعرفتي بالنورانية معرفة الله. إلى غير ذلك من كلماتهم عليهم السلام الشريفة في بيان هذا المقام.

الثاني: مقام المعاني ومقام الولاية المطلقة واستواء صفة الرحمانية على العرش وإعطاء كل ذي حق حقه وسوق كل مخلوق إلى رزقه فهم في هذه المرتبة، ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى التي من عرفها لم يشق أبداً ومن جهلها ضل سعيه وغوى.

والإضافة في ذات الله العليا لامية يعني ملك لله وعبده ولأجل شرفه نسبه إلى نفسه كما قال تعالى: الكعبة بيتي ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1] وكذلك ما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: **السلام على نفس الله القائمة بالسنن.** وأيضاً ما ورد: **السلام على نفس الله المطمئنة.** وقوله عليه السلام: **أنا وجه الله وقلبه وجنبه.**

كل ذلك إنما نسبه إلى نفسه لشرافته ومن هنا تعرف تأويل قوله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[2] يعني أمير المؤمنين.

وبالجملة فإنهم عليهم السلام في هذا المقام معاني أفعاله سبحانه لا معاني ذاته حاشا ثم حاشا لأن ذاته ليس لها معاني لكمال بساطتها وإلى هذا المقام أشار عليه السلام بقوله: **يا جابر عليك بالبيان والمعاني قال قلت: وما البيان وما المعاني قال عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً وأما المعاني: فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه إذا شئنا شاء الله وإذا شئنا خرقنا الأرض وصعدنا**

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٨.

السماء وإن إلينا إياب الخلق و إن علينا حسابهم.

والثالث: مقام الأبواب مقام السفراء إلى خلقه وهو مقام أول باب العقل والسفارة للخلق في قوس الإدبار والإقبال والسفارة العامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية وهم عليهم السلام في هذا المقام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه كما في الأحاديث المتواترة والزيارات المتظافرة مثل قوله عليه السلام **من أراد الله بدء بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم.**

وقوله عليه السلام:**وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأشجار أثمارها من أراد الله بدء بكم، إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ويصدر من بيوتكم الصادر عما فصل من أحكام العباد**، وفي الزيارة الرجبية :**أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض وعندكم ما تزداد الأرحام وما تغيض.**

ونعم ما قيل في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

فهم عليهم السلام في هذا المقام باب الحق إلى الخلق وباب الخلق إلى الحق فلا يفيض الحق إلا بهم وبواسطتهم لأنهم السبب الأعظم في إفاضة الفيوضات الإلهية كما نص عليه الهادي في زيارة آل يس:**ومن تقديره منائح العطاء بكم إنفاذاً محتوماً مقروناً فما شيء منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل.**

إلى أن قال عليه السلام: **فلا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة الزيارة.**

فهم عليهم السلام واقفون على فوارة الفيض، وفيضه سبحانه لا نفاد له ولا انقطاع وقال شيخنا الشيخ أحمد بن زين الدين في هذا المعنى شعراً ونعم

ما قال:

وراحتا الدهر من فضفاض جودهم مملوءتان وما للفيض تعطيل

لأن مقادير الأمور تهبط إليهم في هذا المقام ويصدر منهم الصادر عما فصل من أحكام العباد.

والمقام الرابع: مقام الإمامة الظاهرة للخلق فهم في هذا المقام قطب الوجود وسر الشاهد المشهود لأنهم غوثه في البلاد وعينه في العباد وحفظة الشريعة وبهم تقوم السموات والأرض ولولا وجودهم في هذا العالم لانهدمت السموات ولساخت الأرضون بمن فيها لأنهم رحى الموجودات وحقيقة الكائنات وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام: **لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى.**

ولا تتوهم مما ذكرنا أنهم مستقلون في شيء من الأشياء أو في يدهم بغير الله شيء معاذ الله لا مستقل في الوجود إلا الله ومن زعم أن هنا شيئاً بيده الأمر فقد ضاد الله في ملكه وأخرجه عن سلطانه وهيمنته واستقلاله فالأمر كله بيده **﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**[1] **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**[2] إلا أنهم **﴿عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**[3] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والدليل على وجود هذه المقامات وتحققها أدلة كثيرة عقلية ونقلية أما العقلية فقد تقدم بعض الإشارة ولا يناسب ذكرها في هذه الرسالة تفصيلاً.

---

(١) سورة يونس آية ١٨.
(٢) سورة الروم آية ٤٠.
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٦ - ٢٧.

وأما النقلية فكثيرة وقد تقدم أيضاً بعضها ولا بأس بذكر بعض منها ها هنا منها ما روي في البحار من كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل إلى أن تلا قوله تعالى **﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَ ما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ وقال عليه السلام: هي ولايتنا يا جابر إلى أن قال عليه السلام: يا جابر أوتدري ما المعرفة؟ قال: لا. قال عليه السلام: المعرفة إثبات التوحيد أولاً ثم معرفة المعاني ثانياً ثم معرفة الأبواب ثالثاً ثم معرفة الإمامة رابعاً ثم معرفة الأركان خامساً ثم معرفة النقباء سادساً ثم معرفة النجباء سابعاً وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ وتلا عليه السلام ﴿وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .**

إلى أن قال عليه السلام: **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثبات التوحيد فمعرفة القديم الغاية الذي لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وهو غيب باطن وأما المعاني فنحن معانيه وظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عباده إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم**[1] .

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/ ١٢.

فائدة

واعلم يا أخي أن من شرط الإيمان التسليم والانقياد لآل محمد عليهم السلام بمعنى أن كلما يرد عليك منهم تتلقاه بالقبول مع انشراح صدرك به قال الله تعالى: ﴿فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(1) ومتى وجدت في نفسك حرجاً مما قضوا يعني ما انشرح صدرك بما ورد عليك في حقهم عليهم السلام فاعلم أن إيمانك مستودع يقيناً لا أصلي كما روي عن الصادق عليه السلام: **من رأى برد إيماننا في قلبه فليكثر الدعاء لأمه حيث أنها لم تخن أباه فيه)**(2) .

يعني برد الإيمان بما يرد عليه منهم في حقهم لا مجرد الميل إليهم فإنه لا يسمى إيماناً لا حقيقة ولا مجازاً.

والحاصل يجب عليك التسليم لهم والرد إليهم عما ورد عنهم إن لم تطيقه ولا تقل هناك لم وكيف فإن قول شيء من ذلك يوجب الكفر كما روي عنهم عليهم السلام ما معناه: **إن حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه لإيمان، فما ورد عليكم من حديثنا فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله ورسوله وإلى العالم من آل محمد عليهم السلام وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء لا يتحمله فيقول والله ما كان هذا والإنكار هو الكفر.**

وفي الأخبار: **إن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوه إلى**

---

(1) سورة النساء آية ٦٥

(2) بحار الأنوار ٢٧/١٤٦.

(3) بحار الأنوار ٢/١٢٩.

الناس نبذاً فمن عرف فزيدوه ومن أنكر فامسكوه لا يحتمله إلا ثلاثة[1] .الحديث.

وفي الحديث النوراني المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام:**ولو قال شخص لم وكيف وبم لكفر وأشرك لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.**

إلى أن قال عليه السلام:**من آمن بما قلت وصدق بما بينت وفسرت وأوضحت ونورت وبرهنت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وهو عالم مستبصر قد انتهى وبلغ وكل من شك وعاند وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو ناصب))** الحديث.

ويعجبني ذكر طائفة من الأخبار المستفيضة الدالة على وجوب الانقياد والتسليم لآل محمد عليهم السلام في هذا المقام. روي عن محمد بن الحسين بن الخطاب عن صفوان بن يحيى عن داود بن فرقد عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **قال لي: أتدري ما أمروا؟ أمروا بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا**[2] .

عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن أبي أسامة عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له:**إن عندنا رجلاً يسمى كليباً ولايخرج عنكم حديث ولا شيء إلا ويقول أنا أسلم فسميناه كليب التسليم قال فترحم عليه، وقال عليه السلام: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا فقال عليه السلام: هو والله الإخبات قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ﴾.**

عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبدالله بن

---

(١) بحار الأنوار ٢/ ١٩٢.
(٢) بحار الأنوار ٢/ ٢٠٤.
(٣) بحار الأنوار ٢/ ٢٠٣.

الجارود عن الفضل بن يسار قال: **دخلت على أبي عبدالله عليه السلام أنا ومحمد بن مسلم فقال: ما لنا وللناس بكم والله نأتم وعنكم نأخذ ولكم نسلم ومن واليتم والله تولينا ومن تبرأتم منه تبرأنا منه ومن كففتم عنه كففنا عنه فرفع أبو عبدالله عليه السلام طرفه إلى السماء وقال: والله هذا هو الحق المبين .**

عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد البرقي عن عبدالله بن جندب عن سفيان بن السمط قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: **جعلت فداك: يأتينا الرجل من قبلكم يعرف بالكذب فيحدث بالحديث فنستبشعه فقال أبو عبدالله عليه السلام: يقول لك أني قلت الليل إنه نهار أو أنه ليل قلت: لا قال: فإن قال لك هذا فلا تكذبه فإنما تكذبني)**[1] .

وعنه عن أبي عبدالله عليه السلام: **إن من قرة العين التسليم لنا وأن تقولوا بكل ما اختلف عنا أو تردوه إلينا)**[2] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **كلما أسند إلينا لا تكذبوه ولا تجاسروا على رده وإنكاره قال: أبغض الناس إلينا من إذا عرض عليه حديث من أحاديثنا أنكره أو توقف فيه .**

ففي هذه الأخبار التي ذكرنا من باب التسليم والانقياد لهم عليهم السلام والرد إليهم فيما لم يطيقوه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذه الرسالة من بيان العلل الأربع المحصورة في آل محمد عليهم السلام أسأل الله أن ينفع بها المؤمنين ويجعلها ذخيرة لنا يوم الدين بمحمد وآله الطاهرين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

---

(١) بحار الأنوار ٢/ ٢١١.

(٢) بحار الأنوار ٢/ ٤٠٢.

لنهتدي لولا هدانا الله رب العالمين.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين بحق محمد وآله الطاهرين حيث أطلعتني على مراتب الحقيقة المحمدية ومقاماتها وعرفتنيها بالدليل لا بالتقليد وكشفت عن بصيرتي الغشاوة وجعلتني ممن تلقي ولاهم بالقبول فأذن يحق لي أن أقول:

عرفت ولاهم بالدليل إفاضة   من المبدأ الفياض من غير تقليد
فأخرجت من قاموس تيار فضلهم   جواهر أخبار صحاح الأسانيد
وأرسيت آمالي بجود جوارهم   فأنجح به حيث استقر على الجود
فها أنا ضيف لهم أسأل القرى   حجىً الضيف عن باب الكرام بمردود
يمنوا بإدخالي غداً في جوارهم   وأصلي وفرعي والدي ومولودي
عليهم سلام الله ما حول الهوى   بقرع لعود أو بسمع على عود

قد فرغ من تأليفها الحقير الذليل الغريب في وطنه والبعيد عن أهله ومسكنه أقل الناس علماً وعملاً وأكثرهم جرماً وزللاً محمد بن حسين بن علي الإحسائي في اليوم الخامس عشر من شهر جمادي الثانية السنة السابعة والخمسين بعد المئتين والألف.

المحتويات